

رواية

أنا حدثك لتتري

منى برنسى



منى



إني أحدثك لتري



ketab2pdf.blogspot.com

مدونة كتاب إلى PDF

إلى أحدثك لتري
رواية

منى برنس

الطبعة الأولى 2008 .

(c) دار ميريت

6 (ب) شارع قصر النيل، القاهرة

تليفون / فاكس: 5797710 (202)

www.darmerit.net

merit56@hotmail.com

الغلاف : إهداء من الفنانة هدى لطفي

المدير العام : محمد هاشم

رقم الإيداع: 2008/1968

الترقيم الدولي: 977-351-395-5

إني أحدثك لتري

رواية

دار ميريت

القاهرة 2008

مفتتح

كثيرا ما قلت له: سأخذلك، سأجعل منك أسطورة..

سأكتب عنك وعني ، عن قصة حينا.

و كان يسخر مني قائلا: أنت لا تعرفين كيف تكتبين..

فأغيطه مازحة، هل سبق لأحد أن أحبك وكتب عنك..يجيب

بلا متواضعة فيتعاطم كبريائي، وأقول إذن سأكون أنا هذا

الشخص.. يؤكد على أنني لا أعرف الكتابة.. فأسارع بقمعه، أنت

لست ناقدًا أدبيا، كما انك لا تقرأ الأدب.. أنت لا تهتم إلا

بالأخبار، بالسياسة، وكرة القدم. دع الحديث عن الكتابة لغيرك..

ربما لا أعرف كيف أنمق الكلام، وربما لا أتفاعل مع الكلام

المنمق لذلك أرفض استخدامه... لكنني على كل حال سأحاول

كتابة قصة الحب هذه.

في البداية، أردت أن أكتب رواية عن هذا الحب، لكنني

استتفهمت الموضوع. رواية عن حب! ما الجديد الذي سأضيفه أنا

في موضوع كتب فيه أعظم الكتاب والفلاسفة.. ورغم أنني عشت

ولا أزال أعيش هذا الحب بكامل كياني إلا أن خبرتي ما تزال

محدودة كي أتفلسف وأنظر للموضوع. هذا بالإضافة إلى فكرة أن

الرواية لا تكون رواية إلا إذا عالجت القضايا الكبرى واختمرت

بالايدولوجيا.

فكرت عندئذ أن الحب موضوع غير كاف لكتابة رواية، فقررت أن أضمنه في رواية عن رحلاتي وتكون الرحلة هي في النهاية رحلة داخلية، رحلة بحث عن خلاص ما من خلال الانتقال الفعلي من مكان لآخر واكتشاف الذات والآخر والهنا والهنالك. ولا بأس ببعض من السياسة، علم الاجتماع، علم النفس، الايروتিকা... فكلها عناصر مشوقة، ووصفة سبق أن جربت وأنت بمفعولها من انتشار وترجمة.

وبعد أن استقررت على هذا الشكل، تراجعت ثانية. ووجدتني أرفض كل الأشكال التقليدية التي أعرفها وكل القضايا والموضوعات التي لا خبرة لي بها.

سأكتب قصة حبي فقط كما هي غير مكتملة ومن وجهة نظري أنا غير الموضوعية أحيانا، لم أعد في حاجة إلي من يعبر عني أو يبنى وجهة نظري أو يتحدث نيابة عني.. أصبح لي صوت. وسأحاول أن أفصح مكانا لوجهة نظر شريكي في القصة قدر استطاعتي أو قدر فهمي. ولأتهم بالذاتية والرومانسية، لا بأس بذلك أيضا. سأكتب مقاطع من لحظات عايشتها دون الالتزام بشكل معين. قد يأخذ المقطع شكل قصة أو قصيدة نثر أو اقتباس من نصوص أخرى، أو رسالة. قد يكون المقطع طويلا أو سطرا واحدا أو كلمة، بلغة فصحي أو عامية، ولا بأس بتعقيب ساخر أو بتدخل نقدي ينقض ما أكتب أحيانا. لم تعد الأشكال المحددة تعنيني. يعنيني الآن أن أقامر في الكتابة كما قامرت في الحب: بجرأة أشد، سأعربد في الكتابة مثلما أعربد في الحب.

إهداء

إلى علي..
النور الذي أضاء الله به قلبي

عن الإهداء

عاجز عن النطق، إلا أن الحب على الرغم من ذلك يتوق إلى الإعلان عن نفسه، إلى كتابة ذاته في كل مكان. ... وما أن يخلق المحب عملا ما، تتملكه الرغبة في إهدائه. لكن، وباستثناء الأذكار التي تتضمن الإهداء في نصها، فإن ما يتبع الإهداء (أي العمل نفسه) لا علاقة له تقريبا بالإهداء. إذ يصبح العمل الذي أقدمه قابلا للتأويل وذا معان متعددة.... ورغم أنني أكتب اسمك علي عملي، إلا أن النص مكتوب للآخرين، (للقراء). وهنا تكمن حتمية الكتابة، فلا نستطيع القول بأن النص محب، بل، في أفضل الأحوال، كتب بحب، مثل كعكة أو خف مطرز صنع بحب. وربما التشبيه غير مناسب، فالخف صنع وفقا لمقاس قدمك ولمتعنتك، والكعكة خبزت حسب ذوقك. ... أما الكتابة فجافة، حادة، تتقدم كقطار دون مبالاة ودون شفقة، وستقتل أيا كان (أب، أم ، حبيب) عن أن تحيد عن حتمية مسارها. ليس هناك رحمة في الكتابة، فقط رعب. إنها تخنق الآخر، الذي سيرأها بعيدة كل البعد عن مفهوم الهدية، والذي سيقروها باعتبارها تأكيدا على السيادة، القوة، المتعة، والوحدة. وهنا يكمن التناقض القاسي للإهداء: أنا أسعى بأي ثمن أن أهديك ما يحنقك.

رولان بارت: مقتطفات من حديث عاشق.



L

s

1

في خفة الكائن التي لا تحتمل لكونديرا، يذكر توماس أن حبه لتيريزا تولد نتيجة ست صدف حمقاء.... الساعة السادسة، رواية أنا كارنينا، دكة بعينها في الحديقة المقابلة للمقهى الذي تعمل به تيريزا، وصدفتان أخريان لا أتذكرهما الآن.. وكان يفكر ، باستياء إلي حد ما وباستهتار، كيف أن صدفًا عمياء قادته إلي هذه المرأة التي أصبحت حب حياته، هو الذي لا يؤمن بالحب ولا يشبع من النساء...

هل كانت صدفة... وهل هناك حقًا ما يسمى صدفة، حمقاء كانت أو غير ذلك.. أم إنها ترتيب ما فوقي... هذا التزامن والتتابع في حدوث الأشياء والذي يحدث دون وعينا أو حتى انتباهنا، وفجأة نلتفت ونفكر ونقول " صدفة "...

إلي أن..

صدف عدة جمععتني بذلك الرجل، حين اكتمل قمر ربيع الألف الثالثة.

حفل من تلك الحفلات الفرانكفونية التي أعرف مسبقاً أنها ستكون مملة. أحاول الاعتذار لصاحب الحفل، لا يقبل اعتذاري. (سأظل مدينة لإصراره على حضوري.)
أذهب مرغمة دون نية البقاء طويلاً.

حفل من تلك الحفلات التي يعلم مسبقاً أنها تنتهي بقدم الشرطة. يحاول الاعتذار لصاحب الحفل، لا يقبل اعتذاره. (سيظل مدينا لإصرار صديقه على حضوره...؟؟)

يذهب مرغماً دون نية البقاء طويلاً.

أرتدي ثوباً بدوياً لافتاً للنظر.

أتلقت حولي. أعرف بعض الحضور. أهز ساقى متململة.

ما إن يدخل الحفل حتى يلمح ثوبي، فيسأل صاحب الحفل إن كنت قبائلية.

" سأخبرك لاحقاً. "

ألتفت إلي ثلاثة أشخاص يتحدثون بلغة غريبة، خليط من لهجة محلية وعربية وفرنسية. أسأل الشخص الأقرب إلي عن لغة حديثهم.

" سأخبرك لاحقاً. "

أدير وجهي ناحية أخرى...

تزداد رغبتني في مغادرة الحفل... لكن لا أقدر.

أملاً كأساً لنفسى وأذهب إلي الشرفة أتطلع إلي الشارع الذي خفت حركته.

يخاطبني شخص. أستدير... الرجل الذي سألته عن لغته.

و بدأ حديث استمر حتى مطلع الفجر .
كنت أنوي المبيت في بيت صاحب الحفل إلا أن آخرين
سبقوني في الحجز و صار المكان مزدحما، فعرض علي أن أبيت
عنده.

ذهبت معه إلي منزله. شقة بها ثلاث غرف للنوم لي أن
أختار منها ما شئت. لم تكن بي رغبة في النوم. سألني إن كنت
أرغب في مزيد من الشراب، فأجبت بنعم.
و جلسنا نتحدث ساعات أخرى.
أعتقد أن تلك كانت المرة الوحيدة التي تحدث علي فيها بهذا
الإسهاب.

في التاسعة تقريبا أعدّ قهوة لكلينا، وكنت قد أخبرته أنني
ذاهبة إلي إحدى الواحات القريبة من القاهرة لحضور أحد الموالد.
أصرّ بود علي أن يوصلني إلي أقرب نقطة. دعوته إلي المجيء
معي (مجاملة). تردد. ثم غامر بالموافقة.
كان المولد علي الضفة الأخرى للبحيرة. ركبنا مع مجموعات
أخرى مركبا شرايعا عبر بنا البحيرة التي تنتهي إلي صحراء
شاسعة ومقام والي مزار.

كل أتى من صحرائه الخاصة
محمل بهواجس تاريخية
صحراء جرداء مقفرة
لا عين فيها ولا واحة
التقينا

وكنا عطشى
و عند طلوع الفجر
طلبت منه أن يقبلني
فقبلني، وقبلني، وقبلني
حتى ارتويت
و منذ تلك القبلة
لم أشبع أبدا.

وبدأت اللقاءات تتوالى، تقريبا يوميا. يهاتفني أو أهاتفه بعد الانتهاء من عمله، ويدعوني إلى العشاء. أمر على مكتبه بوسط المدينة ثم نذهب معا إلي باب 28 بالزمالك. نشرب بضع زجاجات من ستيللا التي نفضلها نحن الاثنان. نتناول العشاء وحديث هادئ يدور بيننا، أخبار، حكايات، نوادر، وذكريات.

و شيء آخر يسري بيننا..

شيء لم أعرفه من قبل

نبرات صوته الهادئة تخفف حدة توتري الداخلي

لطفه وعذوبته يجعلانني رقيقة أكثر من المعتاد

بل لا أعرف عن نفسي هذه الرقة والدمائة

فأنا بطبعي شعواء، متهورة، وعنيفة أحيانا

لكن شيئا ما كان يحدث..

كنت أشف.

أعرف نفسي منجذبة إلي الغوغانيين أمثالي..

أما هذا... فرجل عاقل، عاقل جدا

كلماته قليلة، دقيقة، وغير منمقة

حركاته أيضا دقيقة، هامسة، مهذبة..

مهذبة جدا، دون ادعاء

على الإطلاق.

لم يكن من هؤلاء الرجال الذين يستعرضون أنفسهم أو إنجازاتهم أو مميزاتهم.

لم يكن أبدا يعبر عن أنه بطريقة صاحبة فجة.
قد يعتبره البعض متعاليا، أو مترفعا، أو منطويا
لكنه أبسط من كل ذلك
هو إنسان جميل.

٤

طلبت منه أن يقبلني.

كان ذلك في الثالثة صباحا، في سيارته، في موقف سيارات الماريوت.

و كان الوقت قد تأخر علي العودة إلي البيت، فاستأذنت علي أن أبيت عنده.

أتاني ب تي شيرت وشورت. غيرت ملابسي.

سألني إن كنت أرغب في مزيد من الشراب، فأجبت بنعم. تحدثنا قليلا، ثم....

كان من الطبيعي أن ننام معا في نفس الفراش، فقد سرى شيء ما بيننا ألفة ماء، تلقائية ماء، جعلت تواصل جسدنا أمرا طبيعيا

و كأننا كنا معا في حياة أخرى سابقة

كأن روحينا قد تألفتا منذ زمن قديم

فاستحضر جسدانا وصالهما التاريخي

لم تكن هناك محاولات لاكتشاف الآخر

أو استعراض لمهارات فنية.

نتشابك ونتعانق ونلتئم

نصبح كأننا واحدا متوحدا

لكن ما كان مزعجا لي - كوني غير معتادة - هو النوم

جوار شخص في نفس الفراش، فلا أنام. وعلي ينام في دقبة.

يستيقظ أحيانا دون سبب واضح، فيجدي أنظر إليه. يندهش،
ويقول لي " نامي ". لكني لا أنام، وأظل أتأمل ملامحه.

وسامة علي لا تبدو لأول وهلة

و لا لأي ناظر

بل تتكشف تدريجيا من خلال معرفته

العينان صغيرتان. هو يسميهما شرطتان.

الأنف كبير، أراه ملووحا قليلاً جهة اليمين... وهو ينفى.

الشفقتان ممثلتان ، ولا أشبع من قضمهما أبدا.

الفواصل التي بين أسنانه

و غمازات خديه التي لا تبين إلا عندما يضحك..

من قلبه.

" معك أنام مطمئنا "

ياخذني بين ذراعيه

يلف ساقه اليسرى حول ساقي

و يشدني إليه

يدس أنفه في شعري

ثم يعلو شخيره.

في البداية كنت أنزعج

ثم تعودت.

و صرت أشعر بالسكينة عندما يملأ صوته أذني

أشبك يديه على صدري

و أنام سعيدة.

" تعرف إن أنا نخبت "

" نخبت مين؟ "

" نخبت الهة مصر العليا، الصعيد يعني، ومتمثلة في شكل

النسر.

" نسر.. عشان كده ما بتعديش في بيتكم.. "

" طبعا لازم أطير عشان أشوف أحوال الرعية بتاعتي. أنا

إلهة "

" اتشرفنا... "

" وف حياة تانية كنت من الهنود الحمر "

" يا سلام.. كمان هندية حمرا "

" وعندي اسم هندي.. المرأة النسر القوية... شفت العلاقة

بين مصر القديمة والهنود الحمر... يعني أنا نسر في كل الأحوال "

" واضح.. لكن عرفت ازاي؟ "

" طول الوقت كنت أشعر أنني قريبة من الهنود الحمر بشكل

ماء، وأري في ملامحي شيئا من ملامحهم، ثم أكدت لي ذلك

مستبصرة أيرلندية. "

" وكم دفعت لها!!! "

أضحك وأكمل حكاياتي،

" بس جدتي روسية... وبتفتخر إن عبد الناصر اداها الجنسية
المصرية بعد الروس ما ساهموا في بنا السد العالي "
يضحك علي، ويسألني وأين تزوجها جدك.
" في أسوان، ما هو كان مهندس هناك... اتعملهم فرح نوبي "
يشرد قليلا، ثم يسألني..

" وانتي مش عايزة تتجوزي ؟ "
لأ.... أنا روح حرة.. وبعدين أنا إلهة، يعني متجوزة الكون
كله. أنا مش فاضية. " "
" يا سلام.. "

وانت... عايز تتجوز؟ "
أنا لا أحب القيود. لكن لو حدث سأتزوج من بلدي. "
" يا سلام... يعني إن ما كانتش من بلدك ما ينفعش، هو انتو
بس اللي عندكوا ستات "

هكذا، أوضح له من البداية أن لقاءنا الجنسي كان عابرا،
وأفهمه أنني لا أرغب في الزواج وضد فكرة الارتباط حتى لا
يذهب ذهنه إلى أبعد من الصداقة، وحتى لا أتورط عاطفيا معه.
ويبدو أنه هو الآخر كان حريصا على إيصال نفس المعلومة إلي.
نحن إذا متفقان.

بعد ثلاثة أشهر سأطلب، أنا، منه الزواج وسيرفض. سأطلب
منه أن أنجب منه طفلا وسيرفض. سيسألني إن غضبت من
رفضه وسأجيب بلا، " غالبا، رغبتني مش حقيقية. "

تلقائياً، صرنا نتقابل دون مواعيد أو اتصالات مسبقة. أمر عليه بالمكتب خلال النهار، نطلب ساندويشات ونأكل معا. ثم يستأنف عمله، وأجلس أنا على مكتب آخر أقرأ أبحاثاً تخص مجال عملي. ترهقني النظريات فأتوقف عن القراءة وأنظر إلي علي.

حركة ذراعيه وهو يتناول فاكسا، نقرات إصبعيه على لوحة تحكم الكمبيوتر، خطواته الهامسة ما بين حجرة التيكز وحجرة المكتب...

نسمة صيف حار

تداعب ولا تزعج

و قد لا تتنبه إليها

لكنك تشعر بتأثيرها على النفس

فتتساءل عن سر هذا الصفاء المفاجئ

و هذه الراحة التي لا تخطئها الروح

فتومض في قلبك هذه النسمة.

أفقر إليه وأجلس على ساقيه وأقبله في عينيه.

"إيه..؟"

"بحبك"

"فجأة كده.."

" لأ بس أصل النظريات صعبة أوي.. و...."
" يلا كملي شغلك وبلاش دلع، وخليني أكمل شغلي أنا
كمان."
" حاضر "
و أمطر وجهه بقبلاتي.

تزداد رغبتني في القرب منه يوما بعد يوم، ساعة بعد ساعة.
كلما يمتد الوقت الذي أمضيه معه نهارا، كلما تصعب عودتي إلي
منزلي مساء. فأبيت معه في نهاية الليل. كان يشعر بتمزقي ما
بين لهفتي للبقاء قربه وبين واجب العودة. يعرف أن جدتي ذات
السبعة والتسعين عاما تنتظر، رغم أننا لا نعرف على وجه
التحديد ماذا تنتظر. تعاتبني أحيانا على غيابي، وأحيانا أخرى
تطلب مني بحماس المراهقات أن أصطحبها إلى تلك السهرات
التي تعتقد أنها راقصة وحافلة بالمسرات. يضغط على مشاعره
ويوصلني إلي منزلي. وأمام البيت القديم أتسبب بيده وأودعه في
نصف ساعة إلي أن يقول لي " يلا انزلي ". يرى روجي تفارق
وجهي فيمسك بيدي ويطمئنني " ما إحنا هنتقابل بكرة "

أحتضن وسادتي وأمضي الليل في انتظار الغد إلي أن أغفو..
تتساقط أسناني وأنا أغسلها بالفرشاة.. لكني لا أفقدها.
أرتعب. ألتقطها من الحوض وأقرر أن أذهب بها إلي طبيب
الأسنان لإعادة تركيبها. وأهدأ قليلا. فأنا أعرف أن جدتي لا يمكن
أن تموت. لا أدري كيف انغرست هذه القناعة لدي. من إذن؟
علي...

أنهض متوترة.

أرتدي ملابسني بسرعة وأذهب إلي علي في مكتبه.

أجده بخير فيهدأ بالي. أعد قهوة لكلينا وأطالع جرائد الصباح.
الأخبار لا تسر ولا داعي لسردها.

نتشاحن أنا وعلي سياسياً.. وفي النهاية أسكته بقبلة.

أعود لمتابعة قراءاتي النظرية المملة. وبين الحين والحين
أنظر إليه فأجده مستغرقاً في عمله. أبتسم، إذ قلما قابلت شخصاً
يحب عمله هكذا. ورغم الوقت الكثير الذي يقضيه علي منشغلاً
عني بالأخبار والمقابلات والمؤتمرات إلا أنني كنت فخورة به.
يلتفت فجأة إلي، يراني وأنا أتأمله.. ينظر إلي طويلاً ثم
يواصل عمله. في البدايات كنت أستفهم، وعندما لا يجيب بكلمات
صرت أنظر إلي عينيه وأقرأ... أقرأ ما لا يفصح عنه اللسان.
أقبل عينيه.

يذكرني بأغنية عبد الوهاب " بلاش تبوسني في عينيه دي
البوسة في العين تفرق...."

عيناك تغرياني بتقبيلهما.. الحزن. الدفاء. العمق. الشقاوة.
و إلي أين يمضي بي الإغواء.

يرن المنبه في الصباح الباكر. أغلقه سريعا كي لا يستيقظ.
لا تزال ذراعاه تحيطان بي. أرفعهما على مهل، وأقبل أصابع
يديه.

لا أريد النهوض وأتردد ما بين الذهاب إلي العمل والبقاء بين
ذراعيه واستنشاق أنفاسه. أقبله في عنقه وجبينه وعينه، وأطراف
أصابعه. أنازع نفسي. يفتح عينيه، " ستأخرين " ويقبلني. يربت
عليّ ويقول " انهضي ". أشعر بأنني أقتطع عن نفسي.
أغتسل وأرتدي ملابسني على عجل كي لا تفوتني لحظة
يمكنني فيها البقاء معه.

" اشربي قهوة "

" مش مهم "

لا أريد تضييع الوقت في صنع قهوة وشربها. أريد البقاء
قربك، قرب نفسي.

تتنازعني رغبتني في الالتزام بعمل لم أعد أرغبه وحقيقية
وجودي معه..

أنظر إلى الساعة، أقبله مرة أخيرة وأنزل قبل أن يضعف هو
ويقيني معه.

أشعر بتعب السهر وعدم كفاية النوم وجوعي إليه..
لكنني سعيدة لأنني أبدأ يومي معه.

أنا متعثرة. لا أعرف كيف أستكمل السرد دون الوقوع في فخ

الملل.

لأن الرواية رواية مشاعر بالأساس وليست رواية أحداث أو شخصيات - إذ ليس هناك سوى عين وعلي - أجدني الآن مرتبكة. رغم تصريحاتي السابقة بأنني سأكتب قصة حب فقط إلا أنني أخشى جددا الوقوع في فخ الرتابة. وهو الأمر الذي يجب على الراوي أو الرواية تجنبه. فقد تضاهي الرواية تفاصيل الحياة الفعلية لكن بالتأكيد لا يجب أن تضاهيها في الرتابة. وهنا يجيء دور الراوي، ربما، في حقن الرواية ببعض المنشطات التي تتعشها وتبعدها عن الوقوع في الملل - المعادل الموضوعي لروتين الحياة أو نمطية قصة الحب الحقيقية. والقصة رغم أنه لا تنقصها المشاعر الحارة والانفعالات المتطرفة إلا أنه يصعب تمثيلها والتعبير عنها في أحيان كثيرة، وحتى إذا استطعنا تمثيلها فهي لا تكفي وحدها لخلق عالم روائي، أو على الأقل هذا ما أعتقد أو بالأحرى ما تربينا عليه. إذا، ربما يجدر بي أن أختلق بعض الأحداث كي أَدفع بعجلة السرد إلى الأمام.

أنا متوقفة الآن لأنني لا أعرف ما سيأتي أو لا يأتي. لأفكر إذا في مدخل مناسب يشد القارئ بعد الصفحات القليلة السابقة التي

توحى بأن كل شيء تمام وعلى ما يرام، المشاعر صافية والحب ينمو ويتزعرع.

أفتعل شجاراً مثلاً. والحقيقة أن ذلك ما حدث بالفعل وكان عين استشعرت أن عشر صفحات من الرومانسية يكفي. ورغم أن عين نفسها لم تشعر برتابة العلاقة بعلي بل كانت سعيدة جداً حتى هذه اللحظة، إلا أن القارئ قد يعتريه الزهق من ندرة الأحداث أو التشويق. أكاد أشعر بالقارئ يفكر بنفاد صبر إلى حد ما "طبها وبعدين.."

أوكي..

"تعود عين من عملها بعد الظهر وتتصل بعلي في المكتب. يعتذر عن لقائها الليلة بسبب عمل طارئ ويعد بأن يتصل بعد انتهائه. تغتم لكن لا تعلن. تقول له "أني أفهم". الليلة قراءة إذن. تقرأ، لكن دون تركيز حقيقي فتضطر لقراءة كل فقرة مرتين أو ثلاث وبين كل فقرة وأخرى تنظر إلي ساعة الحائط. تأخر الوقت ولم يتصل.

تهاتفه على الموبايل، لا يرد. ألم ينته بعد.. تكرر الاتصال، لا يجيب. هل هو متعب.. هل حدث له شيء سيئ.. لا يريد التحدث معي.. لكن لم يحدث بيننا شيء يدعو إلي ذلك.. هل وهل.. أكون مع امرأة أخرى.. أكون هذا هو العمل الطارئ.. تعاود الاتصال.. يرن الجرس دون أن يجيب.. مشغول مع امرأة

أخرى.. أكيد.. تشعر بالغضب وهي تتذكر ما قاله لها في لقاءاتهما الأولى.. " أنا لا أحب القيود وأحب التغيير "
إذن هو مع امرأة أخرى. تتعجب لإجابتها حينها " وأنا كمان بحب التغيير" .. تمكث الليل كله تتصل به على الموبايل والبيت. لا يرد.

تذهب إلي مكتبه في الصباح. يفتح لها الباب. تنتظر إليه شذرا وتدخل حجرته كريح مجنونة. ويدور هذا الحوار.
" كنت فين امبارح ؟"

" ما انتي عارفة، كان عندي شغل بالمساء "
" أنا كلمتك ميت مرة عالموبايل والبيت ومردش "
" آه علشان كده انتي جاية زعلانة ... نسيته بالسيارة وكسلت
أنزل أجييه والبيت انتي عارفة اني ما بردش عليه "
" انت كداب .. انت كنت مع واحدة تانية "
" عين، أنا مبكذبش عليك. قلت لك نسيته الموبايل بالسيارة "
" علي، يا أنا يا الأخريات "
" عين، أنا لا أحب التهديدات. وأنا حر. انتي فاهمة "
" أوكي، مش هتشفوني تاني "
تنتظر إليه بتحد. ينظر إليها باندهاش.

تخرج من الحجرة. تغلق الباب بعنف يصطدم بالأسقف العالية.

>

تقابل أصدقاءها في الظهيرة والغضب يملؤها. تلعنه وهي تبكي ولا تعرف لماذا تبكي. ينصحها الأصدقاء بتركه، فهي جميلة وصغيرة وألف واحد يتمناها. تقرر أنها ستفعل ذلك.

لكن قبل أن ينتهي اليوم تراجع نفسها وتعتزف بأنها افتعلت شجارا، وأنها ذهبت إليه محملة بتخيلات وهواجس ليست بالضرورة صحيحة. وهي تعرف أن علي لا يكذب عليها. تضايقت من نفسها بشدة. ولم تعرف كيف تصلح ما أفسدت. تتردد في الاتصال به خوفا من أن يرفضها. وشعورها بأنها لم تكن صادقة في انفعالها عليه جعلها تخجل من نفسها. تمكث اليوم كله تفكر ماذا تفعل، وكيف سيكون رد فعله. في النهاية تتصل.

" ممكن نتقابل؟ "

يلتقيان في مطعم بالمهندسين.

جاء متعبا يعاتبها بعيني رجل لا يعرف البوح.

" عين لا تفعل ذلك ثانية. أنا لا أكذب عليك "

لم تعرف أين توجه نظراتها.

تتحدث في موضوعات كثيرة لا رابط بينها.

يسمعها صامتا.

تسكت عن الكلام وتتنظر بتردد إلي عينيه.

يواجهها عتابه.

غصبا عنها تتكثف الدموع في عينيه.

" أنا آسفة يا علي "

يتناولان العشاء ويذهبان معا إلي البيت.

يضمها إليه. تشبك ذراعيه حول كتفيها.
تنام وضميرها نقي."

أوكي

لم تكن خناقة بلدي بالصوت والصورة، والصلح تم بأسرع مما توقعت، ورجعت ربما لعادتها القديمة وكرمان نامت وضميرها نقي!! لكنني أعتقد أن المشهد السابق أدى بعضاً من الهدف المنوط به ألا وهو إحداث تغيير في مسار السرد العاطفي.
على كل حال الرواية ليست لقارئ يبحث عن أحداث مثيرة، أو صورة مجتمع، أو أي شيء من هذا القبيل. في نهاية الأمر أنا أكتب الرواية التي لم أقرأها حتى الآن وأبحث عنها في كل المكتبات... رواية حب صافية، لا تنتهي نهاية روميو وجوليت المأساوية، ولا تنتهي كذلك بتلك النهايات السعيدة المفزعة التي لا يخبرنا أحد ماذا يحدث بعدها.

ثلاثة أشهر تقضي وأنا أتساءل
هذا الفينيقي الجبلي
أيّ ريح عصفت به إليّ
لنقتلع أونادي الراسخة رسوخ الأجداد في قبورهم
و تلقى بي في دوامات رمالي المتحركة
أيّ ريح تلك
التي حملت ذلك الشارد المتلفت
إلى مرفأ منغلق على ذاته
قابع في عميق وحدته
ينتظر نسمة تداعب أجنحته الساكنة
فتأتي ريح غير عابئة
تنثر باستهتار ريش أجنحتها المدربة

مع اقتراب يوليو من نهايته يقل كلامه ويزداد تأمله لي
كمصور فقد كاميراته فاضطر إلي حفظ دقائق الصورة في مخيلته
كي لا تفلت منه، أو كأن الصورة ستغيب عنه بشكل ما دون أن
يتمكن من التقاطها فيضيع بهاء اللحظة التي يضمن الزمن
بتكرارها.

" لن أعود مجددا يا عين، انتهت مدة إعارتي "
" ستعود "

" بالطبع سأرجع لتسليم المكتب إلي من سيأتي بعدي، ولأخذ
جميع أغراضي "

" ستعود وستبقى مدة أخرى "

" هل أنت عرافة !! "

" لا .. لكن قلبي يحدثني بأنك ستعود وتبقى "

" قلبك مخطئ يا عين، مدة الإعارة في عملنا ثلاث سنوات قد

تمتد عاما رابعا بقرار رئاسي وهذا غير وارد "

" ستبقى يا علي مدة ثانية "

" ما الذي يجعلك متأكدة هكذا ؟ "

" لم أشبع منك بعد، بكل بساطة "

و ستمر السنوات وسيعود

لأؤكد له أنني لا أشبع منه أبدا

و سأقول له أنه بوعي أو لا وعي

يقطر جماله عليّ

و لا يسكبه مرة واحدة

فأمتلئ

و أضع الكأس على الطاولة بصوت يشي بانتهاء الجلسة

سأقول له أنني أتلقى كل قطرة على حدة

و آخذ وقتي في رشفها

حتى القطرة التالية

سأقول له أنني لم أكن أبدا عجلي

فهناك عهد بيننا

يسافر .

أدور حول نفسي لا أعرف ماذا أفعل، وكيف سأقضي هذا الشهر. أعاود مقابلة أصدقائي، أسمع نفس الحكايات وآخر المؤامرات والسنائم. أذهب إلى السينما، أشاهد أفلاما كوميدية، أسمع الجمهور يقهقه عاليا، أنظر في الوجوه البلهاء حولي وأتساءل عم يضحكون. أحضر ندوات ثقافية، أجدني أستمع لمجاملات نقاد لم يقرؤوا كتب من يجمالونهم.

لا شيء حقيقي .

أعد الدقائق إلى أن تصبح ستين دقيقة فأشطب ساعة من الوقت. أعد الساعات إلى أن تكتمل أربع وعشرين فأشطب يوما. الناس تشنكي من قصر اليوم وأنا أشنكي من طوله وبطء انتهائه وقلة حيلتي .

أين أنت يا علي

العالم كله لا يغنيني عنك

و لست أدري كيف سأكون بدونك

سأكون بالتأكيد

لكن بأية كيفية

كنت أحيا بنبض قلبك

و الآن أحيا أوتوماتيكيا
تماما كغسالة فول أوتوماتيك
تضبط مؤشر البرنامج حسب نوع الغسيل
فتنجز الآلة عملها
دون تبرم
دون تفكير
دون إحساس
مذ فارقتني

أقرأ خبرا في جريدة الأهرام يعلن عن تغيير مدير مكتب
وكالة الأنباء العربية بالقاهرة. أقرأ خبرا في جريدة الحياة اللندنية
يفيد بمد عمل المدير الحالي لفترة ثانية. أهاتفه لأتأكد. تلفونه
عطلان. أكاد أجن من الانتظار في مكاني

أذهب إلى جبل موسى وأكلم ربي
المشوار طويل، والصعود منهك
لكنني أحتاجه
أتحرك خارج نفسي كي يسكن داخلي
كلما قطعت مسافات أبعد
هدأت حركتي الخفية المستترة بروحي المتعبة
الجبل والسماء وهلال وليد
أنا والله وجهها لوجه
أحكي له عن علي دونما خجل
أعرف أنه يعرف
ألم يرسله إليّ
و أطلب منه أن يجمعني به
و إن كان لا بد من فراق
فليكن مؤقتاً وألا يطول.
يسقط لي نجمتين.
كبير أنت
و راسخ على عرشك
صغيرة أنا
أتطلع فقط إلى بهاء نورك

أقترِب وأبعد، أطيع وأعصى
أطلب وأصبر، أتعجل وأستغفر
كبير أنت
لا يسعني إلا محاولة الوصول
و أخشى الوصال
أحمل قرباني وأتهياً
أصعد الجبل على مهل
و عند اقتراب الوصل
أسقط نفسي عن عمد
و أبدأ من جديد...

في غيابه صار حضوره طاغيا .
يزداد اشتياقي تألقا .
أستدعي تفاصيله وأأملها عن كذب .
أستحضره ،
و تبدأ عادة التحدث إليه عن بعد .
أحبه كما لم أحبه من قبل
و لن يفاجئني يقين أنه رجل عمري
الرجل الذي جعلني امرأة .
تفتلت مشاعري من عقال الجسد
و تحلق بعيدا عني وعنه .
و من هذا البعد أراقب مشاعري .
أراها تنمو ، وتتكاثر وتتكثف .
و ستسقط بغزارة مطر انقطع لأزمان
عن أرض تشققت من طول انتظارها .
هل ستلتئم الشقوق وتثبت زهرا
أم ستذوب الأرض
ويجرفها السيل .

أنتظره بالمطار. تتأخر الطائرة ساعة. يا ربي ألا يكفي شهر
غياب. أقطع ساحة الانتظار جيئةً وذهاباً وعيني على اللوحة
الالكترونية التي تعلن عن رحلات الوصول. تصل طائرته أخيراً.
أتابع خروج الركاب من صالة الوصول بنفاد صبر. الجميع
خرج. أين هو؟
يظهر أخيراً.

و عكس ما يحدث في مثل هذه الحالات، بدلا من أن أجري
إليه وأرتمي في حضنه، وجدت نفسي مسمرة. أسرع هو نحوي،
وأخذني بين ذراعيه. أبعدته عني برفق، وتحسست وجهه
وذراعيه، أطراف أصابعه. ينظر إليّ متسائلا. " بتأكد انك جيت
فعلا، وانك انت هو انت."

نصل البيت.

أتشاغل بوضع أغراض سفره في أماكنها.

يهم إليّ.

أسأله أين هديتي.

يخرج من حقيبته الخاصة علبة ويفتحها.

طقم فضة أمازيغي قديم أشهق لرؤيته.

لا ينتظر أكثر من ذلك.

يصل رحمي
فينفلت شوقي رغما عني
و تتكثف دموعي.
أرتجف رجفة من تلتحم روحه بالروح القدس.
تتقطع شهقاتي ويرتفع وجيبي
يشملني بداخله/ بداخلي
أسلم له روحي راضية.

يحبني، ويفزع من حبه لي
أحبه، ولا أخشى شيئاً.
أقول له
عندما أكون في حضرتك
لا أستطيع أن أحمي بنظري عنك
و إذا ما ذهب لأستلقي على تلك الكنبه
التي كثيراً ما تشهد عناقنا
و أغمض عيني في محاولة للنوم -
بعد ليلة كنت أمضي معظمها أشكر الرب
على نعمة أن أكون بين ذراعيك،
و أن أنفاسك تدفئ عنقي -
تظل بقية حواسي يقظة
لأدنى التفاتة منك.
الحب متطلب يا صديقي
و لا يكتفي أبداً
فكيف أشرح لك
أنا التي لا تمل محاولات
الشرح والتفسير والتنظير أحياناً.
تعجزني اللغة المحايدة.

أريد أن أكون معك
دون أن أكون معك
كي لا تفزع فكيف يكون ذلك؟

علي لا يعبر عن مشاعره، أيا كانت، صراحة.
و عين لا يضاهاها أحد، امرأة كانت أو رجلا، في التعبير.
لذلك قد يتهمها البعض بأنها دكتاتورة،
و بأن صوتها هو الصوت المهيمن على النص.
ليكن!
هذا نصها..

ثم ماذا تفعل إن كان من تحب لا صوت له،
و لا يرغب كثيرا أو قليلا في التعبير عن نفسه.
هل ستعبر هي عنه؟!
عين ليست من أنصار الربرزنتيشن من أي نوع كان
تقافيا، صوتيا، أو مرثيا.

ذكرت في مفتتح الرواية أنني سأخلده بكتابة قصة حينا. لكن هذا العلي الآن لا يستحق لا التخليد ولا مجد الأسطورة. لماذا؟ لأنه عضني في لساني، وقال إيه بيوسني !! وسبب العضة التي اعتبرها عقابا لا واعيا هي تلك الأحداث السياسية والقضايا الكبرى التي قلت في البداية أنني سأجنب الخوض فيها. لكنني مضطرة الآن لذكر بعضها بسبب تلك العضة أو القبلة الخبيثة. فبعد عودة علي من إجازته بأسابيع قليلة انتفض الفلسطينيون انتفاضتهم الثالثة، وذلك اثر دخول شارون الاستفزازي المسجد الأقصى بحذائه، وتصادف أن يتزامن ذلك مع ذكرى وفاة عبد الناصر. النتيجة، مناقشة سخيفة تدور بيني وبين علي نتبادل فيها الاتهامات حول دور مصر فيما يحدث الآن على الساحة العربية. أغتاض من النقاش العقيم الذي يدفعني للدفاع عن قرارات حكومة لا تمثلني شخصيا. لكنني في النهاية لا أريد للسياسة أن تفسد الليلة. أقبله في فمه، فيعضني !! ولا يترك لساني لحاله إلا بعد أن أبكي من الألم. ينظر إلي مستغربا ويسألني " وجعتك؟" أرد عليه، " انت مجرم."

يعتذر ويقول أنه لم يقصد، وأنه فقط كان يقبلني.

" هل وجعتك معنويا أم حسيا؟ "

" أنا اتألمت لأنني حسيت انك بتعاقبني على حاجة ماليش دخل
فيها"
اعتذر ثانية بضمير وأكد أنه لم يقصد. لكنني أشعر بغير ذلك،
فقد نظرت في عينيه وهو يعضني، و رأيت قصدا.

طفلي الذي ينام بين ذراعيّ ينتفض فجأة وتكبر ملامحه.
أحاول أن أستبقّيه بجانبى قليلا. ينهض بسرعة قبل أن يأسره النوم
وذراعي ثانية. يغتسل، يحلق ذقنه، ويعد القهوة.
يرتدي ملابسه بنفسه. اليوم لديه مقابلات رسمية.
أراقبه وهو يربط الكرافتة بدقة، وبنفسه.
ينظر إليّ. أومئ برأسي.
طفلي كبير.

وزراء خارجية، اجتماعات تمهيدية، مؤتمرات قمة ثلاثية
ورباعية وعشرينية...
أسبوع يمضي دون أن ألتقيه.
نتحدث هاتفيا.
عمل، مقابلات، وضيوف رسميون.
ولا وقت لي أو لنفسه فيما أظن.
أمر عليه بالمكتب سريعا.
أشكو له

المكتب، الكمبيوتر، الصحف، البواب، بائع السجائر،
الضيوف، الجامعة العربية، السفارة، شوارع وسط البلد والزمالك
والمهندسين وطريق المطار، وغيرها، كلها لها فيك نصيب أكثر
مني.

بيتسم مرهقا.
أقبل عينيه وأطراف أصابعه، وأطلع إلي فمه..
" ا م م م ... آههه "
" عرفت إن عض اللسان بيوجع "
" يا مجرمة "
أنظر إليه من عل.
" تَو تَو.. أنا ربكم الأعلى.. أنا فرعونة ما تنساش "
" يا سلام... بتستغلي الموقف "
" لأ باخد حقي ... "
" يا سلام ... "
قام اليّ، وأخذني..
" طيب طيب.. بس من غير عض.. "

يعتذر عن اللقاء عدة مرات دون أسباب واضحة. أسأله عن سر التباعد فلا يفصح. لا أفهم فأبتعد. يريد أن يكون وحده. أتساءل بيني وبين نفسي هل زهق من وجودي في حياته.. أريد وقتاً يراجع فيه نفسه، حياته، وحساباته.. لا بأس إن كان يرغب في الانفصال وإنهاء العلاقة.. لكن ليس بهذا الابتعاد التدريجي. أنا أفضل البتر. وسأكمل أنا دورة الحب لنهايتها بداخلي، بخيالي. لا أحتاج لوجوده المادي، فقد وصلت لأعلى درجات الاشتياق في غيابه. لكنني لم أمر بكل مراحل الحب بعد. لا يزال أمامي ألم الفراق، الحنين، اللهفة، الغيظ، الكره، ألا مبالاة، ثم الهدوء. فتغلق الدائرة وتنتهي الدورة. بإمكانني استدعاءه ومخاطبته، معاتبته ومداعبته. بإمكانني كل شيء. سأحدث وهو سيستمع كالعادة ويظل صامتا. وهذا أفضل.. إذ ليس عليه أن يقول ذلك الكلام الذي عادة ما يحبطني. وإذا اشتقت لسماع صوته سأستدعي تلك الكلمات الحلوة القليلة التي كانت تغلت منه من حين لآخر. سأجعل شفتيه ترسمان الكلمات التي أود سماعها مثلما يفعل الممثلون في الأفلام المدبلجة، وأنخيل الصوت. فسأستدعي أطراف أصابعه وأقبلها على مهل، سأحكي له طرفة فيضحك كي أرى الفواصل التي بين أسنانه، وأقضم شفته السفلى... فأحبه أكثر وأكثر...

إلى أن أستنفد كل مغذيات الحب وأتعب. سأشعر بالملل
عندئذ فأنتهي اللعبة.

لا يطاو عني قلبي على نبذه. ولا أريد أن أهاتفه
أكتب نصا وأرسله بالفاكس.
لكل رسوله وصلبيه
و أنت من بعثك الله إليّ
نورا
يملاً داخلي وبفيض خارجي
و صليبا
يرفع ألمي ويشهد تمزقي
لكل نبي مريدوه
و أنا مريدتك
التي تريد أن تنهل من عطر نورك
و تنتثر ضياءه للكون كله
أنا مريدتك
التي تريد أن تكون بجانبك وأمامك وخلفك
لا لتحاصرك كما ستفهم أنت
إنما لتطيع كلامك إن أصبت
و تقود خطوك إن ضللت
و تستند إليها إن تعبت
و تضيء قلبك إن أظلم
مثلما أضاء نورك روحها من قبل
لكنك نبي مجنون
نبي يرفض نبوته

شخصت إحدى صديقتي حالتي بأنني لست " ست " بالقدر الكافي. أي أنني ليست لدي الحاسة الأنثوية التي تعرف كيف تصيد رجلا وتجعله يلهث وراءها. أقول لها أنني لا أصيد رجلا، وأنني أحب إنسانا. تقول، " لكن يجب أن تشعر به بأنك مشغولة، وبأن لديك اهتمامات أخرى، وأن ليس لديك الوقت الكافي دائما كي تكوني معه." أجيب بأنني لا أعرف أن أدعي شيئا ليس بي، وأنه لا يمكن أن أكون محبة حقيقية وأنشغل عنه. أقول لها، " كيف أشعر أنه يريد أن يكون معي وأقول له أسفة أنا مشغولة." تقول لي، " والنبي انتي هبله". ربما.

نتقابل أنا وعلي فيما بعد...

" سأقول لك شيئا ربما لا يفترض أن أقوله..."

ينظر إليّ بتساؤل واستغراب، فهو معتاد أن أقول ما عندي دون مقدمات. أخبره بنصيحة صديقتي. يضحك كأنما حكيت طرفة.

" إيه "

" وليه ماتجربيش "

" إيه!!! فعلا.. انت عايزني أعاملك بالطريقة دي !! "

أهاتف صديقتي وأحكي لها ما دار. " مش قلناك انك هبله "

نعم أعتقد ذلك!

و صديقة أخرى قرأت ما سبق ورأت أنه لا يرقى إلي " رواية "، فالنص حتى الآن يفتقر إلى الحكمة الدرامية ولا يتطور، وأنه في أفضل الأحوال قصة طويلة أو حالة شعرية خاصة إذا حذفنا الأجزاء السردية. وصديقة أخرى رأت أن النص معلق في الفراغ، إذ لا توجد به أية أبعاد أخرى وغير مرتبط بالواقع. ورغم أنني شخصياً، الآن، لا أعرف كيف سأستكمل السرد إلا أنني لازلت أرغب في كتابة هذا النص - بلاش رواية - من دون أن أتقله بما هو خارج عنه. وربما... ربما أكون غير قادرة على كتابة رواية بالمعنى المتعارف عليه للمصطلح، أي خلق بناء مكتمل إلى حد ما يحمل رؤية ما (كلية، جزئية، متصدعة..) للعالم.

من الممكن أن أقول للقارئ - إن كان سيفيده ذلك - السياق العام الذي تعيش فيه هاتان الشخصيتان. ومن الممكن أيضاً أن أعطي بعض المعلومات عن هاتين الشخصيتين إن كان ذلك سيجعلهما شخصيتين ملموستين.

إذا، تدور أحداث الرواية، عفوا... ظهرت شخصيات هذا النص في مصر ابتداء من عام 2000 وحتى لحظة الكتابة هذه، وقد تستمر لأطول من ذلك (الله أعلم). والقارئ المعاصر يعرف الأحداث السياسية والاجتماعية والاقتصادية الخاصة بهذه الفترة والتي أكره حقاً مجرد الإشارة إليها. والقارئ غير المعاصر - إن وجد - عليه أن يرجع إلى جرائد وصحف تلك الفترة إن رغب!

و كما ذكرت سابقا، ليس هناك شخصيات رئيسية سوى عين
وعلى. عين امرأة في منتصف العمر تقريبا، ملامحها مصرية
جدا ودائمة الفخر بأنها من نسل الفراعنة، باحثة اجتماعية لا ترى
جدوى من أبحاثها. وتريد أن تحب.

علي رجل تعدى منتصف العمر، من دولة عربية " شقيقة "
أجداده من البربر، صحفي يمثل بلده لفترة مؤقتة بمصر. وحتى
هذه اللحظة لا يعرف ماذا يريد. ويعيش اليوم بيومه.
هل يكفي هذا؟ لا أعلم.

على كل حال..

سأستكمل الكتابة مثلما يتراءى لي الآن. وإن لم أفلح في كتابة
نص سردي شيق فليعذرني القارئ. وفي هذه الحالة، سأعيد
الكتابة في شكل أقرب إلى قصيدة نثر مطولة.
لنرى كيف ستسير الأمور!

ثم أدت ظهري، وحاولت أن أدفئ نفسي بلف البطانية حول جسدي. لكن ظهري ظل باردا لأني لم أستطع أن أحيطه بالغطاء... فهو يرقد بجانبني.

كان كل شيء باردا جدا. الفراش والملاءة والغطاء. جسده فقط دافئ. حاول أن يدفئني فبردت يداه وساقاه. سكنا قليلا. أفكر فيه وأتأمله وهو بجانبني...

"بتفكر ف إيه"

"ف ألف حاجة"

اغتظت. انتظرت. لم يصف شيئا.

كنا مستلقين على ظهرينا. هو يضع كفه على عينيه اتقاء لضوء الشارع المتسرب داخل الغرفة، وأنا أنظر للسقف بلا مبالاة.

"إيه"

مرت دقيقة أو أكثر قبل أن أجيب بلا شيء. شعرت بالبرد أكثر من ذي قبل.

لم يحتوني بين ذراعيه كما كان يفعل. أدار ظهره لي. كنت أشعر بالاختناق، بالحصار، وكنت طول الوقت أحاول التملص من ذراعيه بهدوء، لكنه لا يتركني. وشيئا فشيئا اعتدت أن أضع رأسي على ذراعه اليمنى وأن يلف ذراعه اليسرى حولي

ويشبك كلتا يديه على صدري... وبدأت أشعر بالدفع. بالحب.
بالاحتواء. بأنني جزء منه وهو جزء مني.

لم لا يحاول أن يلاطفني
أريد أن أغادر الفراش. لا أستطيع تحمل ملاصقة ظهره لي.
لا أريدني بجانبه.

شعرت برغبة في التدخين. نهضت. أدرت جهاز التلفزيون
وأشعلت سيجارة. طلب مني سيجارة. أشعلتها له وجلست أتابع
حوارا تلفزيونيا بملل، وهو يدخن سيجارته دونما كلام.

من الممكن أن أنام في الغرفة الأخرى. لكنني أعرف أنه لا
يحب أن يستيقظ ولا يجدني بجانبه. وماذا عني أنا. لماذا أضطر
لأن أبقى في نفس الفراش وأنا لا أطيقه الآن.

عدت إلى الفراش مرغمة. لم يكن نائما.
حاولت أن أنام، أن أفكر فيما يجب أن أفعله في الغد. يجب
أن ويجب أن ويجب أن... يقفز فوق كل شيء. ويلهيني عن كل
الواجبات التي يجب على القيام بها. أغضب. أتقلب في الفراش.
واحد، اثنين، ثلاثة، أربعة،.... لا النوم يأتيني ولا هو.

بعد فترة، أشعل سيجارة أخرى. ألتفت إليه. هو يعلم أنني
أضايق من رائحة الدخان في الفراش. نهض وأخذ العلبة كلها إلى
المطبخ.

أخاف عليه من البرد. لم لا يأخذني بين ذراعيه. لم لا
يحاول. سأرفض مرة وثانية وثالثة ولكنني في النهاية سأقبله. لم
لا يحاول فقط..

لم كل هذا البعد
لا يعنيني الأمر. فليذهب إلى المطبخ، فليذهب إلى الجحيم،
فليحترق، فليبرد، فليخفف... لا يهمني.
بدأت أشعر بالتعب من الكلام مع نفسي ومن محاولة النوم
ومن محاولة الهروب من الإحساس بأنني أرقد بجانبه. في النهاية
نمت.

استيقظ قبلي في الصباح. شعرت به لكنني تصنعت النوم.
اغتسل وحلق ذقنه ودخل المطبخ يعد القهوة.
وقف أمامي وناداني باسمي. فتحت عيني.

" صباح الخير "

" صباح الخير "

رددت بكل الحزن الموجود في الدنيا.

جلسنا صامتين نرتشف القهوة وندخن سجائر الصباح.

" نمت كويس "

" آه "

" نمت كويس "

" آه "

نكذب على بعض ونحن لم نعتد الكذب.

لم تعد بي رغبة في الكلام. لم تعد بي رغبة في أن أحدثه

عن ألمي.

هو لا يفهم. أو ربما يفهم، لكنه لا يستطيع.. لا يستطيع أن

يهب نفسه لحالة الحب، لهوس الحب، لحب الحب.

أشفاق إلى اشتياقي له، إلى لهفتي عليه وهو حاضر وهو غائب. هو يحبني فقط... لا يعنيه العشق... لا تعنيه التفاصيل. أسأله بماذا تشعر عندما أقول لك أنني أحبك. يجيب بأن الأمر لا يختلف سواء قلت أم لم أقل لأنه يعرف أنني أحبه... ولكن ألا تشعر بشيء مختلف، بسعادة أكثر، بإحساس آخر. وأحاول أن أفهمه أنني أريده أن يقولها، أريد لأذني أن تستمتع بوقعها عليها.

" لها وقع السحر.. حاول أن تفهم. "

نظرت إلى ذقنه، لم يجرحها كعادته. نهض يرتدي ملابسه، نهضت أرتدي ملابسني . ثم جلست على ذراع الكرسي الفوتييه أنتظر أن ينتهي من جمع أشيائه وأنظر إلى الأرض. رفع رأسي إليه وقبلني ثلاث قبلات سريعة. نظرت إليه وبعيدا عنه، في عينيه ووراء عينيه... يبتعد.

عين تسعى إلى الحب
علي يهرب من الحب
كيف يمكن الجمع بين هذين الشخصين النقيضين؟
عين تقترح بضعة اقتراحات:

- 1- أن تحبه طول العمر
 - 2- أن تحبه سنة قابلة للتجديد
 - 3- أن تحبه إلى أن تقابل شخصا آخر
 - 4- أن تحبه بعض الوقت
 - 5- أن تحبه بعد عشر سنوات
- تسأله تحب تختار إيه
يأخذ فراشه إلى الغرفة الأخرى.
تلمح ابتسامة على وجهه. تذهب وراءه.
" طب تحب أكرهك؟"
يضحك أخيرا ويجيب بنعم.
" طب بلاش الأوضة دي والنبي، بحس إنها غرفة التعذيب"
يعودان إلى الفراش الأرضي بالصلاة.

و صار يتحاشاني ...

في كل مرة نتقابل فيها، ندور في نفس الحلقة المفرغة من الأسئلة والاتهامات الصامتة التي تنتهي دوماً بأن ينام كل منا غريباً في غرفة منفصلة.

يبدأ الحوار بتودد من جانبي وتجاوب من طرفه. و فجأة تقفز الأسئلة الشيطانية "إياها" إلى رأسي. أغمض عيني وأحاول إسكاتها، فتظهر في هيئة أخرى. أتقلب على صدره وأقبله، يأخذني بين ذراعيه. أطرده الأفكار الشريرة، تراوغي لفترة ثم تجئ، تحيطني، تملأ رأسي بالضجيج، توجع صدري بالتهديدات وتذهب عني رغبتني الحميمة فيه.

أخضع. فتعلن الأسئلة عن نفسها بانتصار. تعلن عن نفسها. هذا ما تريده إذن. هي لا يهمها الإجابات التي تعرفها مسبقاً وقد سمعتها مراراً وتكراراً. ماذا تريد هذه الأسئلة مني... تريد أن تقف حائلاً بيني وبينه، تريد أن يغضب كلانا الآخر، أن تفسح للزعل مكاناً بيننا. أشرح له ما يحدث لي، وأطلب مساعدته كي لا تنتصر الأسئلة، فيرى أن من الأفضل ألا يجيب عليها.

أنزعج. ربما لا تهتم الأسئلة بالإجابات، لكنني أريد أن أسمع هذه الإجابات... و أبداً
"ليه"

" لأنك عارفة كل الإجابات، أنت فقط تتعامين عنها."
" أتعامى عن إيه"

تتوسل عيناه أن أكف عن استنطاقه.

" هل تفضل الحب أم الحرية؟"

" لقد قلت لك من قبل أنني لا أطيق القيود، وإنني لا أحب أن

يحاسبني أحد، وأن حررتي هي أهم شئ في حياتي."

" هذا الكلام كان قبل أن تحبني. أنا أسألك عن الآن."

" لم أغير رأبي. أنا لا أغير. حاولي تفهمي."

" يعني إيه لم تتغير، ازاي ما غيركش الحب وأنا اتغيرت."

" أنا لست أنت، وقد سألتني عن رأبي فأجبتك بصراحة. لماذا

تغضبين الآن."

" أنا مش غضبانة، أنا مندهشة."

" اندهشي. هذا شأنك."

أغضب. أشعر أنني أهنت. أبحث في عينيه عن إجابة

ترضييني، يغمض عينيه وينسحب.

أدخل الغرفة الأخرى باكية. لماذا يعاملني بهذه الطريقة. لماذا

يتجاهلني، لماذا لا يشعر بي. لأنه لا يحبني قدر ما أحبه.. لأنه لا

يريدني قدر ما أريده. سأتركه..

غدا سأتركه.. لن أراه ثانية.. لا يستحقني.. لكنني أحبه..

سأتركه لفترة.. لن أهاتفه.. لن أمر عليه في المكتب.. سأسافر..

سأعرف شخصا آخر.. سأتركه إلى أن يشئاق إلي.. وهكذا إلى

أن أتعب وأنا.

تدخل باراً مقفراً في بلدة صغيرة لا تعرفها الخرائط
و تضع قناعاً مبهماً يلائم شكل البلدة العشوائي
تفحص المشرب بنظرة محايدة
تحتل مكاناً قصياً في ركن شبه معتم
تطلب كأساً من النبيذ الأحمر وتشعل سيجارة
تضع الساق على الساق كاشفة عن فخذها
يخطو نحوها شاب مختال
يقرب منها رافعاً كأسه
تنفث الدخان في وجهه وتدبر رأسها
ثم لا يعجبها أداؤها
تفحص المشرب ثانية بنظرة الباحث عن مغامرة سريعة
تجده في الركن القصي الآخر
وحيداً يتناول كأساً من النبيذ الأحمر
تحمل كأسها وتذهب إليه
تجاوره
وتضع الساق على الساق كاشفة عن فخذها
ينظر إليها باستفهام متعال
تعرف هذه النظرة جيداً
تعزم بعينها اليسرى وتبتسم ابتسامة مقدامة
قبل أن تقلت من نفس العين دمعة وتعبس الابتسامة
تثرثر بلغة أجنبية بالكاد يعرفها
لكنه يستمع

و في آخر الليل يأخذها معه
و في الفراش تقيس أصابع يديه
وتبحث عن فواصل ما بين أسنانه
تتركه يعبت بها قليلا ثم تنهض
عفوا: لست تشبهه إلا قليلا

قليلا جدا

أستيقظ على نداءه. سمعته يناديني برجاء. أذهب إليه أجده
نائما ويشخر بصوت مضرور. كيف ذلك وقد سمعت صوته
واضحا جدا. أتذكر أنني قلت سأتركه ولكن هذا النداء ألا يعني أنه
يريدني أن أبقى....

أتحاور مع نفسي إلى أن أصل إلى النتيجة ذاتها...
أقمع غضبي وأتجاهل رغباتي وأتحايل على نفسي كي لا
يزيد الزعل بيننا.

أذهب إلى فراشه.. يضمني إليه.
أفرح. أفرح كثيرا. أنام.
نستيقظ منهكين.

أرى ملامحه متعبة.
أشعر بالذنب فأعذر وأعد بالألا يتكرر ذلك...

كنت أعد حساء في وعاء من الألمونيوم على نار عجل
نقص الماء وغلظ القوام
و وجدتني أفكر بأن هكذا هي الأشياء
تتبخر الفرحة ويرسخ الألم
وإذا تركت الحساء على النار -عجلى كانت أم هادئة-
فترة أطول،

و صبرت على الألم تاركا شأنه للأيام تبرده
سيحترق، وستلتصق بقاياها أكثر وأكثر بالقاع
و لن تمحي أبدا آثاره السوداء
إلا إذا قمت بعمل بطولي
من قبيل دعك قاع الوعاء بقطعة سلك
من نفس معدن الوعاء ، وبكل عزمك...
أو أن تتخلص تماما من الوعاء
بإعطائه لبائع الروبايكي مع كمية لا بأس بها
من الجرائد القديمة، مقابل طبق بلاستيكي مثلا.
أما إذا كنت تستخدم وعاء مصنوعا من مادة التيفال
فليس عليك إلا أن تضع فيه قليلا
من أحد سوائل التنظيف الحديثة
مع قدر من الماء .

تضع الوعاء على النار دقائق معدودة
و سيعود الوعاء كما كان، وربما أفضل.
و لكن عليك أن تتنبه،

فإذا سهوت سيحترق الوعاء ثانية
و مع تكرار الاحتراق ستفقد مادة التيفال خاصتها
و تصبح مثل وعاء الألمونيوم ذي الآثار السوداء.

ما هي المشكلة؟ ما هي المشكلة؟

لماذا نتراوح علاقتنا بهذه الطريقة الحادة؟ نكون سعداء جدا،
وفي لحظة تتقلب الدنيا ونصبح كطرفي القضية الفلسطينية، يبيد
أحدنا الآخر.

نزعل من بعض، لكنني لا أقوى على البعد وانتظار أن
يبادرني هو بالصلح. فأذهب إليه وأبذل جهدا عصبيا خارقا لأيام
كي أزيح الزعل من طريقنا. صلحه يرهقني وهو يتمنع. لكنني
أحب تمنعه.

أحبه لرفقته وفي رفقته جبروت.

يتهمني بأننا ندور في الحلقة نفسها ولا نتقدم أبدا.

نعم، لأنك نصبت الحواجز في منتصف الطريق وقلت هذه
حدودك التي لن تتعديها. كلما مضيت قدما أصطدم بحاجز فأرجع
للبداية ثانية. أنت الذي تعيق تقدمي. أنت الذي تغلق الأبواب وأنا
التي طول الوقت أحاول فتحها.

ينفي. ويقول أنه لم يكن أبدا مع امرأة مثلما هو معي الآن.

صدق عينيه ونبرة صوته يجعلانني أصدقه.

لكن هناك شيء ما يجعله .. يجعله... لا أعرف بالضبط..

لكن متباعدة ربما..

أتساءل بيني وبين نفسي لماذا لا تتطور هذه العلاقة.. لماذا
الوصول ثم القطع... لماذا هذه الرغبة الغريبة المتبادلة لإنهاء
العلاقة وعدم القدرة الحقيقية على فعل ذلك..

العلاقة تتضمن طرفين. وإن استطعت التحكم في نفسي فلا
أستطيع التحكم في الطرف الآخر أو في شخصيته وتركيبته.
تفاجئني نفسي. تقصدين لماذا لا نستطيعين الاحتفاظ به. فأرد على
نفسي وكأنني مسكت عليها خطأ. أه.. هذا هو إذن.. الاحتفاظ..
التملك.. أنت تريدان أن تحتفظي به لنفسك وهو يريد الاحتفاظ
بنفسه لنفسه. هنا يكمن الصراع. كيف يمكن تملك شخص لا يريد
أحدًا أن يمتلكه.. إذن المشكلة في قدرتي. أنا أشعر بالإحباط لأنني
أنا لا أستطيع.. أي أنا لا أقدر على فعل شيء أريده.. أنا هي
المشكلة. أنا.

أذهب إلى المستبصرة الأيرلندية، وأطلب منها استحضار روح والد علي. تقول فاني أن هذا أمر صعب للغاية دون وجود علي. وتطلب أن يأتي علي بنفسه. أخبرها بأنه لن يأتي أبداً. فهو إضافة أنه لا يؤمن بهذه الأشياء، لا يحب معرفة المستقبل، ويفضل أن تحدث الأمور دون تدخل منه. تسألني ما الذي أريده من والده. نصيحة ربما. هو يعرف ابنه جيداً. ماذا أفعل كي تتجح هذه العلاقة. تحاول فاني استحضار روح أبيه والتخاطب معها، لكنها تخبرني من البداية بصعوبة الأمر وعدم تأكدها من النتيجة. بطريقة ما تستحضره. نصف شكلاً وتقرأ اسماً. هذا اسمه، أقول " عبد القادر ". أخرج الصورة القديمة التي تضم علي، طفلاً صغيراً، مع أبويه وأخوته. أتطلع إلى صورة الأب وأقارنها بوصف فاني للشكل الذي استحضرته. " نعم. يبدو أنه هو. " " يبدو أنه من الثوار الذين خاضوا الحرب ضد الفرنسيين. " يأتي صوت فاني من بعيد جداً، وهي مغمضة عينيها، وكأنها في بلد بعيد رغم أنها تجلس أمامي مباشرة.

" هو فعلاً كان كذلك، حسب كلام علي. وقد أصر علي إرسال ابنه الذي لم يكن بلغ بعد إلى مدينة بعيدة عن قريتهم ليتعلم اللغة العربية التي منع تدرسيها الفرنسيون في ذلك الوقت كشكل من أشكال التمرد وإيماناً بهوية بلده العربية. ثم أرسله إلى تونس لاستكمال تعليمه الثانوي بالعربية أيضاً. "

تبدل فاني جهدا بالغا لاستتطاق روح عبد القادر لكنه لا يتكلم. تهز رأسها نفيا. " فمه مزموم بقوة. يبدو أنه شخصية محافظة وليس من النوع المتحدث. " كأنها تصف علي. يشبه أباه إذا.

أتطلع مجددا إلى الصورة الأبيض والأسود التي التقطتها من درج مكتب علي من ورائه. أخبرني سابقا أن الصورة التقطت لهم قبل أن يغادر القرية إلى المدينة. كان يبكي وهو متشبث بجلباب أمه التي لم ترغب في أن يبتعد طفلها عنها. لكن الأب، الثائر، كان صارما جدا، وهو ما يبين في الصورة أيضا. صار علي يحمل الصورة في كل بلد يذهب إليه. تعود علي الترحال من الصغر. ربما هذا ما يجعله غير قادر على الاستقرار وإقامة علاقات طويلة المدى، لذلك كانت علاقاته دائما عابرة. أبتسم وأنا أتذكر علي وهو يقول إن علاقاته عادة تستمر ثلاثة أشهر، قد تمتد ستة أشهر. أتذكر أيضا كيف صحت بوجهه، " هو عقد إيجار شقة قابل للتجديد" وكيف ضحك علي من التشبيه الذي ربما به شيء من الحقيقة. الأغرب، أنه لم يكن يقيم علاقات إلا مع أجنيات يجدن الإنجليزية التي لا يعرف منها سوى بضع كلمات، ولا يعرفن الفرنسية التي يتقنها هو. " كيف تتحدثون إذا؟" سألته مرة، " لا نتكلم كثيرا. نستخدم الإشارات البدائية." هكذا هو إذن . ولأنه دائما على سفر يخشى التورط وتبعاته. ربما.

تفتح فاني عينيها، وتعود من رحلتها الاستبصارية. " ليس هناك شيء أستطيع أن أقوله لك سوى أنك في علاقة مع شخص صعب جدا."

تتساقط أسناني للمرة الثانية في غضون شهر. أفزع وأنا أرى فمي فارغا في المرأة. أعيد تركيبها لكن ليس بالترتيب نفسه. لا يعود فمي كما كان. وعندما أمضغ الطعام أشعر بألم حاد حتى لو كان الطعام ليينا.

أقول لنفسي يجب أن أصل إلى قرار. لكن ما هو القرار؟ سأخبره إما أن يكون معي أو لا يكون معي. هل هذا سؤال جديد؟ لا.

أرتدي فستانا ألوانه ربيعية والحلي الفضة التي أهداها لي. أذهب إليه في المكتب. يستقبلني بحرارة. أنظر إليه بشك. يسألني لم أرتدي الحلق والاسورة ولا أرتدي العقد. أتحنس رقبتني، لا أجد العقد. لكنني لبسته. أنا متأكدة. "ربما فقدته في الطريق." "سأذهب لأبحث عنه"

٢ "لن تجديه. لا داعي للبحث. سأحضر لك غيره في العجلة القادمة."

أخبره بحلم الأسنان. يقول أضغاث أحلام. نذهب إلى تشيزا عدلي. نطلب ستبلا وطعاما خفيفا. لا أشعر برغبة لا في الأكل ولا الشرب. "سأحضر لك غيره."

" أن تضيع مني أول هدية منك فال سيء، معناه بالنسبة لي
أني سأفقدك أو أن العلاقة ستنتهي."

" بلاش خرافات"

" سأذهب للبحث عنه في الأماكن التي سرت بها."

" لا تعبي نفسك. لن تجديه."

" سأجده."

أعود بعد نصف ساعة وأنا أفكر في معنى العلامات.

أجلس قبالتة وأأمله.

" قلت لك لن تجديه."

أضعه على الطاولة أمامه.

" ها هو لكن مشوه. وجدته في عرض الطريق."

" لا تزعلي. سأشتري لك بدلا منه."

" شيء ما سيثوه علاقتنا."

يصرخ وهو نائم بجانبني. أنهض وأنظر إلى وجهه. يبدو كمن
يصارع أشباحا أو كمن يحاول الفكك من قبضة ما ولا ينجح. لا
أعرف هل أوقظه أم أتركه يكسر صمته.

أسأله في الصباح لم كان يصرخ. ينظر إليّ باستغراب ويرد
على السؤال بسؤال،

" هل صرخت؟"

" نعم"

" وهل قلت شيئا؟"

" كنت تصدر أصواتا متقطعة تشبه الكلام لكن مش واضحة."

" ربما كانت كوابيس."

" هل أوقظك من النوم إن صرخت ثانية؟"

" لا.. اتركيني أصرخ"

تكرر الصراخ ليالي متعددة. ساءلت نفسي ألم يعد ينام
مطمئنا معي مثلما أخبرني في البدايات. المرأة التي يحبها الرجل
هي التي يرقد جوارها مطمئنا. أليس كذلك يا كونديرا. هل فقد
علي حبه لي؟ لماذا أفكر بأنه " فقد "؟ أليس من الممكن أن في ذلك
راحة له. الفقد لي أنا إن شئت.. ولماذا أعقد الأمور .. لم لا يكون
الأمر مجرد كوابيس أو مشاكل ما .. مشاكل ما.. أنا لا أفكر إلا
في المشاكل..

لم يصارحني.

عرفت من صديقة مشتركة لنا، من بلده. الخبر وقع على رأسي كالمطرقة. لكنني لم أصرخ من الألم. فقط ذهلت. وبالمصادفة - أو للمفارقة- كنت أستلم هدية من صائغ قرب مكتبه، كنت قد أوصيته بطلب مخصوص. سرت حائرة. لا أعرف ماذا أفعل بالهدية. صارت بلا معنى أو مناسبة. الحقيقة هناك مناسبة!

صعدت درجات طوابق البناية القديمة وقبل أن أطرق الباب نظرت إلى وجهي في مرآة الطرقة. ملامحي في غيبوبة. هذا أفضل! إذ ما الذي يجب أن يرسم على وجهي الآن؟ غضب. حزن. ألم. كره. لكنني لا أشعر بشيء حاد. مفارقة الخبر واستلام الهدية جعلتا مزاجي أقرب للتهكم من أي شيء آخر.

صار السؤال

كيف سيكون رد فعله عندما يعرف أنني عرفت

و مع المعرفة هدية!

أطرق الباب

يفتح مرحبا ويقبلني في خدي كالعادة

نجلس. ننظر إلى بعضنا بترقب.
هو ينتظر أن أبادر أنا بالكلام وأنا لا أجد ما أقوله.
أقدم الهدية. يسأل ما هي
سلسلة من الذهب بها دلالة منقوش عليها التالي
أقرأ له:

"أنفه يغوص في خصلات شعري المتموجة
يتنفس هوائي المعبق برائحة الحنة
و في الصباح أتحسس شعري
أجده رطبا ببخار الليل المتقطع
مشعث وملبك"

ينظر باستفهام.
أضطر للشرح.
أردت أن أهديك شيئا له معنى لكل منا
الأنف أنفك، الشعر شعري،
أنت تتنفس، الهواء هوائي.
لا يفهم.

لا يهتم.
يضعها حول رقبته.
لست مضطرا لارتدائها.
أقول،
وأخرج دون أن نتحدث في الموضوع.

أتعثّر في الكتابة مرة أخرى مثلما تعثرت عين في مشاعرها
بعد مقابلتها الأخيرة مع علي. وأنقطع عن الكتابة شهورا مثلما
تَنقطع عين عن علي وعن نفسها. تعثري الناتج عن القطيعة مع
الكتابة كان بسبب أحداث سياسية إقليمية. ولم يكن من الممكن
حينها- هكذا اعتقدت- أن أستكمل هذيانني عن الحب والحرب
دائرة بالجواري. إلا أنني بعد انسحابي، غير المبكي عليه، من
المشهد السياسي بعد أن أدركت عبثيته وبعد أن تأكد لي وهمية
القضايا الكبرى، تجلى لي أن ما كنت أعتبره هذيانا هو أكثر
حقيقية مما عداه.

تفليت مني اللغة، فقد توقفت عن الكتابة والقراءة معا. لا
تأتيني سوى لغة قنوات الأخبار التي كثيرا ما تكون مضللة.
أفتقد عين ولغتها ومشاعرها.

أعيد قراءة ما كتبت وأخيلها من بعيد. كيف كانت ستعبر عن
تعثرها في استئناف السرد بعد كل هذا البعد. ربما ..

كي أنسى سطرًا واحدًا من هذه المقاطع

عليّ أن أسترجع كثيرا من لحظات الفرح الحر

ساعات الألم المتشنج

أيام الحزن المستقر

ليالي الاشتياق القارص

شهور الانتظار وخوف الفقد

و سنوات ستحمل بقايا ذكرى

تتآكل بفعل الكبر

ربما...

البتر.

هذا هو الحل.

أذهب إلى واد بعيد بصحراء سيناء. أريد أن أبتعد قدر
الإمكان.

يتصل مرارا، ولا أرد على الهاتف. ليس عندي ما أقوله.
ماذا يمكن أن أقول لرجل خاطب ويستعد لزواج؟ أحاول أن أكون
قوية أمام نفسي. أقمع كل مشاعري وأتعامل فقط مع قرار البتر.
أقطع الوادي ذهابا وإيابا. أنا امرأة حرة، وهو أيضا رجل حر،
ترد نفسي عليّ. لم الغضب إذا. أنا لست غاضبة. هو قال إذا
تزوج فستكون امرأة من بلده. صحيح لكنه لم يقل أنه سيفعل ذلك
من وراء ظهري. هل كنت تريدني أن يخبرك من البداية بأنه
خاطب فيفقدك. إذن هو يريد أن يحتفظ بي دون أن يخسر أيضا
المرأة الأخرى. أشعر بالقرص. كيف يمكن أن نقضي معظم الوقت
سويا، نأكل معا، نشرب سويا، ننام ونستيقظ معا وهو يرتب
زواجه من امرأة أخرى.. إذن هو لا يحبني، هو يتسلى، يقضي
الوقت معي إلى أن يعود إلى بلده ويتزوج تلك المرأة؟ لكنه
يحبني. أنا متأكدة انه يحبني. لكن كيف يحبني ويتزوج من
أخرى؟. يعني هل كنت تريدني أن يرتب زواجه منك إذن. طبعاً

لا، أنا لا أريد أن أتزوجه. ماذا تريدون إذن؟ أغضب من نفسي وأسكتها.

لكن السؤال لا يتركني. أنا ماذا أريد.
أتذكر أسناني التي سقطت وصراخه وهو نائم بجوارى.
أشعر بالوجع. أنا أريد أن أكون معه. لكنني لن أكون معه. لقد
قررت. أكرهه لأنه دفعني إلى هذا القرار.
أبكي. لم تبكين يا عين. وحشني.
أخلع حدائي، وأخاطب ربي.
يا رب لا أعرف هل أشكرك أم أعاتبك
هل أشكرك على الحب الذي وهبتي إياه
أم أعاتبك على المحبوب الذي يهرب من الحب
يا رب إن كنت عليما بحالي
أنا التي أتوق إلى الحب
و به الذي يفر من الحب
فلم جمعت بيننا
يا رب صدقتك وحمدتك كثيرا
أغوييتي
فلم تحرمني الآن
أم أنك تختبرني
يا رب منحه قدرة التحكم في المشاعر
و منحنتي أنا القدرة على الحب فقط
وقد أصبحت في غير محلها.

فما الحكمة؟

إن كان لابد من فراق فليكن مؤقتاً وألا يطول
و إن لم يكن خيراً في هذا الحب فلتصرف قلبي عنه
و لتسامح نفسك يا رب.

أتمدد على عشب صغيرة وأتطلع إلى السماء وأبدأ في عد
النجوم التي لا تحصى إلى أن أغفو...

كتلة سوداء تسد الفتحة اليسرى لأنفي وتعيق تنفسي..

تنفقت فجأة وتطير فأفتح لها باب الغرفة..

تفتح نافذتي عن آخرها ويدخل طائر أبيض..

يترك لي بعضاً من ريشه ويعاود تحليقه..

أتنفس..

أستيقظ فجراً صافية. أتحسس فتحة أنفي اليسرى. أنا بخير.

أفكر بالحلم. ما الذي يعيقني؟ مشاعري أم أفكاري؟

بماذا أشعر؟ براحة. وماذا أيضاً؟ بحب.

أطير الى القاهرة، وأحط في منزله. ينظر إليّ نظرة تملؤها
كسل المشاعر التي شعرت بها وأنا في سيناء. نحتضن بعضنا.
ونستأنف ما انقطع من وصال.

"ليه مشيت وليه رجعت؟"

"مش عارفة مشيت ليه، لكن عارفة رجعت ليه."

"ليه؟"

"جيت أصالح نفسي على نفسي."

لم تكشف لك امرأة ما كشفت لك من نفسي

و كيف لا أفعل والنفس لا تخفي عن النفس شيئاً

و أنا أيضا يا عين لم أكن مع امرأة قط مثلما أنا معك

و لم أأتمن أحدا على روجي مثلما انتمتنك

عيناه تصرحان بحب عميق على استحياء

ولسانه يبوح همسا كمن يخشى افتضاح أمره

أحتضنه بين ذراعيّ، وأقبل جبينه وعينه

لماذا إذن

و إذا حدثت وطلبتك للزواج ارفضني

علي...

غيري الموضوع رجاء.

أصر...

يفلت من حضني بهدوء.

يستلقي على الكنبه. يغمض عينيه. ينسحب.

أذهب إلى المطبخ. أبكي وأنا ألتهم كل الطعام الذي حضره
لكلينا، ولا أترك له شيئاً. أبتلع ثلاث كؤوس كبيرة من الويسكي،
وأذهب إلى الغرفة الأخرى. أتكور على نفسي في فراش بارد.
أمعائي تتعصب. أذهب إلى الحمام أتقيأ ألمي.

يتبعني علي. يقف بجانبني إلى أن أنتهي. ثم ينظر إليّ معاتباً.
يمسك بيدي ويأخذني إلى فراشنا الأرضي. نستلقي على
ظهرنا.

" علي، أنا أكلت الأكل كله "

" ما انت رجعتيه "

" انت كان عينك فيه؟ "

ألمس ابتسامته في الظلام

" طب انت مش جعان، أحضرك حاجة ثانية، في جنبه في

التلاجة "

" لا، خلاص أنا هنام، نامي انت كمان "

" متأكد "

" أبوة "

يشد الغطاء علينا.

يدفس أنفه في شعري، يشبك ذراعيه على صدري، ويعلو

شخيره.

أن تكون على الحدود
لا هنا ولا هناك
و ترغب في أن تكون هنا وهناك
في تلك النقطة الوسطى
المنطقة الشائكة
ماذا يسعك أن تفعل
هل تحمل حقائبك وتعبّر نقطة الحدود إلى هناك
أم تقفل عائدا إلى هنا
في الهنا هنا(ء) مطلق
ربما لي ولك
و هنا- أيضا- تحمل نا المعية
و في الهناك، هنا(ء)ك أنت وحدك
دونما أنا أو (نا)
ربما تفضل أن تظل على الحدود
بين بين، لا هنا ولا هناك
و تعفي نفسك مسؤولية اتخاذ القرار
إذ ربما تنهار الحدود من تلقاء نفسها
فتصبح حرا تماما، طليقا تماما.

في خفة الكائن التي لا تحتمل، يتأمل كونديرا فكرة الخفة
والثقل. فيقول أن أثقل الأحمال تسحقنا وتجعلنا نلتصق بالأرض.
ولكن في كل أشعار الحب - علي مر العصور - تشتهي المرأة
أن تثقل بجسد الرجل. لذا فإن أثقل الأحمال هو في الوقت ذاته
صورة التحقق الأكثر كثافة للحياة. وكلما ثقل الحمل اقتربت
حيواتنا إلى الأرض وصارت أكثر حقيقة وصدقًا. والأكثر من
ذلك، الغياب التام للحمل يجعل الرجل أخف من الهواء، ليخلق في
الأعالي، ليتحرر من الأرض ومن كونه أرضيا، ليصبح نصف
حقيقة، ولتصبح حركاته حرة بقدر ما هي غير ذات أهمية.
ماذا ستختار إذن؟ الثقل أم الخفة.
ماذا ستختار يا علي؟

لا أعرف كيف أتعامل مع تردده. لا أعرف.
أضعه في خندق، وأطالبه بإجابات صريحة. يقول إنه لا
يعرف. يفرعني تراوجه. فأبدأ في استدرار المشاكل رغما عني
في أي مكان، في المكتب، في البيت، في البار، في الشارع.
يبتعد، فأنهار، فأعود باكية. لا يصمد أمام ضعفي وضعفه،
وتتوسل عيناه أن أكف عن تعذيبه وتعذيب نفسي.

سأروض نفسي المستثارة دائما
على الابتسام بهدوء حتى في أقسى المواقف،
تماما كما يفعل اليابانيون عندما يستبد بهم
الغضب أو القلق أو الحزن.
سأبتسم كي أكون لطيفة أمامه
كقطعة الحلوى المستوية على الرف
تغري الناظرين إليها، و تنتظر من يدفع ثمن تذوقها
و تقبل في النهاية بأن يخرج ما لم تستطع المعدة تذوقه
مع الفضلات الأخرى من فتحة إخراج واحدة.
سأبتسم لأنني عندما نظرت إلى وجهي في المرآة
حين بكيت، انزعجت من ملامحي.
سأبتسم و أغمغم ببضع كلمات لا معنى لها

لن يسمعها في الغالب، و لن يفهم
أنني عندما أبصر من حافة نفسي إلى داخلي
أجد فراغا دائريا يستطيل
يحفر وحدتي بتأن بالغ و تصميم
أجزع و أرتبك و أرتكب ما يسميه هو حماقات
سأروض نفسي على ألا تستثار
سأبتسم أمامك ابتسامة الفتيات اللطيفات المهذبات
سأتشبث بالوحدة الأقل
كي لا أنزلق من على الحافة.

وأصنع لكينا كأسين من مشروبها الروسي المخصوص، الذي يقطره أخيها بالبيت في ريف روسيا. أتخيل أنها تنظر إليّ، رغم أنني في الحقيقة لا أعرف إن كانت ترى حقا أم لا. فهي طول الوقت مفتوحة العينين إذ بطريقة ما ومع الوقت اختفى جفناها دون أن يلحظ أحد ذلك. ولم تتحدث هي في الموضوع. نعرف أنها نائمة فقط من صوت شخيرها.

أناولها كأسها. واسترّضاء لها، نشرب في صحة | رحمة عبد الناصر.

أحكي لها الموضوع. يبدو أنها تستمع. لكني لست متأكدة. أسألها ماذا أفعل. تهز رأسها بنوع من الأسف. أسألها من المخطئ فينا. تهز رأسها مجددا. أصب لها كأسا آخر لعل ذلك يساعدها على استجماع أفكارها. يجيئها الوحي بالروسية.

" نينة أنا مش فاهمة حاجة، اكلمي عربي "

أضطر للاستعانة بالقاموس. تقريبا تعني أنه لا فائدة من هذه العلاقة، وأنني أضيع وقتي. أقول لها لكنني أحبه وأريد أن أكون معه. تصمت طويلا حتى أنني أظن أنها نامت. " نينة... ". ترد بلغتها. أفتح القاموس مجددا.

" إيه... "

أضحك عالياً ولا أستطيع أن أتوقف. لا أصدق ما تقوله
جدتي... "أسحر له.."

"أسحر له إيه بس يا نينة.. ده كلام برضه"

أنتبه فجأة إلى صوت شخيرها. أضحك رغماً عني وأنا أخذ
الكأس الفارغ من يدها. أذهب بها إلى الفراش وأتمنى لها نوماً
هنئياً وأحلاماً سعيدة. ترد بشخير منعم.

"أسحر له.."

الفكرة على غرابتها، لاقت هوى في نفسي.

عن طريق بعض المعارف، توصلت إلى واحد من هؤلاء
الشيوخ الذين يستخدمون السحر و"العمل"، ويقال أن "سره باتع".
أذهب إليه في بيته بأحد أحياء القاهرة القديمة. الرجل الذي
اعتقدته شيخاً كبيراً كان شاباً لا يتجاوز الثلاثين. ويرتدي ملابس
عادية جداً لا توحى بأي سحر على الإطلاق. أو على الأقل ليس
كما تخيلت أو كما نشاهد في الأفلام. لوهلة فكرت أنه ربما نصاب
وأردت أن أعود أدراجي. لكن الرجل لم يعطني فرصة للهرب.
أمرني بالجلوس على الأرض الطينية. وأشعل أنواعاً مختلفة من
البخور. داخلني خوف. سألتني ما العمل الذي أريده. فقلت عمل
محبية. طلب صورة تجمعني أنا والشخص المراد له العمل وشيء
من أثره به رائحته. سألته عن طريقة تحضير العمل. رد بأشياء
مبهمة لم أفهم منها سوى أنه سيسخر واحداً من الجن الطيبين

ويستخدمه للتأثير في الرجل الذي أحبه ويجعله مهووسا بي. قلت بسرعة أنني لا أريده مهووسا، لكن فقط ألا يبتعد عني. اتفقنا على موعد آخر في الأسبوع التالي بعد أن أحضر الصورة والأثر.

الصورة أمرها سهل، أما الأثر... كيف آخذ منه قطعة من ملابسه الداخلية بها رائحته؟

أخذت أفكر في الموضوع. وهل أنا جادة فعلا أم أنني أتسلى؟ جزء مني يصدق أمر الجن، وجزء آخر غير مقتنع، وجزء يبحث عن المغامرة، وجزء يخشى العواقب. ماذا لو مشيت في هذا الطريق ولم أعرف كيف أعود، ماذا لو تبدلت ولم أعرف نفسي. ماذا لو أصاب علي ضرر ما، أو تبدلت شخصيته وصار شخصا آخر غريبا عني. وماذا لو زاد العمل عن حده وصار علي مهووسا بجد، وأخذ يتبعني كظلي أو يسير ورائي مهوش الشعر كمتسول مجنون. ماذا لو لم يعجبني العمل، كيف أفكه؟ أنتهي إلى أن الموضوع أكبر مني والأفضل عدم اللعب في هذه الأمور.

و إذا كان علي لا يريد أن يكون معي بإرادته الحرة فلن أبقيه بالسحر ولن أستجديه.

في الطريق إلى مكتبه، تقع عيناى على كتاب عن السحر ملقى وسط كوم من الكتب القديمة والمستعملة. أتردد لحظة ثم ألتقط الكتاب وأنفض عنه الغبار. "تسخير الشياطين في وصال

العاشقين". أبحث عن الفهرس. لا يوجد، ولا صفحة محتويات كذلك. يسألني البائع بنفاذ صبر إن كنت سأشتري أم سأقرأ الكتاب ببلاش وأنا واقفة أمامه. أذفع ثمن الكتاب وأذهب إلى مقهى قريب من مكتب علي. أطلب شايا وأجلس أتصفح الكتاب. رسوم هندسية بدائية وبخط اليد، عناوين داخلية عن أعمال مختلفة، منها عمل المحبة، وحروف متلاصقة لا تشكل أي كلمات مفهومة. تحت بند المحبة أجد وصفا يستحيل تنفيذ أحد خطواته وهو ترديد طلسم معين ألف مرة. والفكرة هي أن ترديد بعض الأصوات دون توقف يؤثر بشكل ما ويؤتي بالنتيجة المرجوة. لكن كيف أصل إلى المرة الألف دون أن أخطئ في العد. أشرب الشاي وأذهب إلى علي.

يرحب بي بود شديد. فأنفجر ضاحكة. بيني وبين نفسي أقول العمل الذي لم أعمله جاب نتيجة. يسألني عن سبب الضحك. فتبدأ نوبة ضحك جديدة. يتركني ويستأنف عمله. أفيق من نوبة الضحك أخيرا.

أخرج الكتاب من حقيبتي وأجلس على رجليه. وأقرأ له عمل المحبة الذي يكتب على بيضة سبئية. يبدأ في ضحك متواصل. وعندما أصل إلى الطلسم الذي يجب ترديده ألف مرة على قطعة سكر ينفخ فيها ثلاث مرات بعد كل عشر عدات، " ملكش بلکش شهشه كشكه لاشلاش مهوش جلميش"، يقول من وسط ضحكاته، " لو رددتي الطلسم ده ألف مرة، هديكي ألف جنيه.. ".

ثم أحكي له عن زيارتي للرجل الذي يحضّر الأعمال. هزّ رأسه وقال، "انت مجنونة."

"ليه عايزة تعملي كدة؟"

"عشان تفضل معايا"

"ما احنا مع بعض"

"طيب عشان تحبني قد ما بحبك"

"ما أنا بحبك وانت عارفة"

"صحيح؟ طب ليه بتحبني؟"

"صدقك وبراعتك وتلقائيتك... وجنانك.. ما شفتهمش في

ست ثانية"

يكاد السؤال الكابوسي يفلت من فمي، فأعض لساني خطأ.

يلحظ السؤال على وجهي، فيضحك. ويلق على عضة لساني،

أكيد كنت هتسألني سؤال بايخ."

"آه...". نضحك سويا. ثم يأخذ لساني في فمه في قبلة طويلة

كالحلح.

"طعمك حلو أوي يا علي"

"صحيح؟"

"عايزة أكلك.."

"كُلي"

أخمشه، وأقبله، وأعضه. تصيبه الحرارة فيفعل مثلي.

أقرأ ساحر الصحراء ل باولو كويهلو وتستوقفني فكرة أنه إذا
رغب المرء في شيء بإخلاص تولد هذه الرغبة في روح العالم
ويتأمر الكون بأسره لتحقيقها. أنا أو من بكل المخلوقات النابض
منها والذي يبدو جمادا، المرئي وغير المرئي. كل منا يحمل
بداخله ويجسد روح العالم. وعندما أتمنى شيئا أتمناه من الكون
كله. لكن هل يكفي ذلك لتحقيق ما أتمناه. أتحيّر بين قدرتي التي
هي من الله وبين قدرتي المكتوب الذي هو من الله أيضا. هل من
الممكن تغيير المسار المكتوب. لكنني لا أعرف أيضا ما هو
المكتوب وكيف ستنتهي الأمور. أنا في الطريق، وأعتقد أنني لن
أعرف إلا في نهايته والتي تعني أيضا نهايتي، أو على الأقل نهاية
هذا الشكل من الحياة.

رأس السنة الجديدة بعد أيام. أسأل علي أين يحب أن نقضيها.

" لن نقضيها معا "

" ليه؟ عندك سفر؟ "

ينظر إلي متوجسا رد فعلي. ثم يقول ببرود،

" خطيبتني جاية "

أتذكر أن هناك امرأة أخرى مجهولة الهوية بالنسبة إلي كنت
بشكل ما قد تناسيتها. لكن ذلك لا يمنعني من سؤاله باستغراب بل
وباستنكار، " ليه؟ "

" عايزة تشوفني ."

لا زلت لا أفهم وأصر، " ليه؟"

بيتسم علي أمام استغرابي .

" يا عين، خطيبتي وعايزة تشوفني، أقولها لأ!!"

" آه قولها لأ، قولها انك مشغول"

" مقدرش"

" قول بقى ان انت اللي عايز تشوفها"

يدير وجهه الناحية الأخرى .

" مش هتشوفها يا علي"

" ازاي يعني، هتمنعيني؟" يسأل بغیظ .

" مش هخليها تيجي"

يضحك باستخفاف .

" ايه هتعملي لها عمل"

أضحك أنا أيضا وأجيب بتحد العارف، " بقولك مش هتيجي،

هتشوف . وأقولك كمان حاجة .. مش هنتجوزها"

لا نتحدث في الموضوع ثانية .

قبل نهاية العام بيوم، يتصل علي ويسألني أين أحب أن

نقضي رأس السنة .

أنا من صنعتك نبيا

لكن لا تنسى أبدا

أنني الإلهة
أنا اصطفتك لنفسك
و أنت اخترت العبودية لأخرى
ابتعد كما تشاء
لكن الخيار ليس لك
لأنك مربوط بي بحبل **صُري**
أذهب
فأنا أعرف كيف أشدك لي
و لن تذهب حقا
إلا حينما يكتمل الحمل
و أقطع الحبل
فاصبر قليلا
سيحين موعدك

مع دخول الصيف واقتراب موعد عطلته، نمط التباعد والتواصل، الذي صار سمة هذه العلاقة، يزداد حدة. وتعلو معه درجة توترتي، وعدم قدرتي على الفعل.

يتراكم الغضب ويتصاعد بداخلي
أتصيد الأخطاء المقصودة وغير المقصودة

و أتحين الفرص

و لحظة الانفجار

أغض عيني وأوقف تنفسي

أتلاشى

هذا أفضل، أقول لنفسي

و في خيالي أصنع الشجار كيفما أشاء

نكون أربعة مثلا نتناول العشاء

ثلاثة منا من بلد واحد

و أنا من بلد آخر

يتحدث الثلاثة بلغتهم

و أنا لا أفهم

ألمح له

يقول: أشياء لا تخصك

و يستأنف كلامه
أتخيل رد فعلي:
أنتفض قائمة وأقول:
لا تدعوني ثانية إلى مجلس
تتحدثون فيه عن أشياء لا تخصني
و أغادر المكان نافرة
أو
أنهض بهدوء وأخبره
أني سأجالس آخرين
يتحدثون عن أشياء قد لا تخصني
لكن بلغة أفهمها
ثم أبحث في ردتِي فعلي:
الأول سيغضبه، لكنه قد يمسك يدي
و يغيّر الحديث إلى أشياء أخرى بلغة مشتركة
فأجلس متحفزة
الثاني سيجرحه، وقد لا يغفره لي
فأخاف أن أفقده
و أخسر فرصة أخرى لإنهاء علاقة
نحاول إنهاءها منذ بدأناها.

لسنوات تزورني امرأة بساق واحدة في الصيف. وقبل طلوع الشمس، كل يوم، تستند إلى عكازها المعدني، تتمشى من بيتي إلى شاطئ القمر البدوي وعيناها مثبتتان على نقطة ما بداخلها. وليلة اكتمال القمر، تسير الأمتار القليلة من بيتي إلى حد الشعاب المرجانية. تضع عكازها جانبا وتجلس متربعة، ساقها الكاملة فوق الساق المبتور نصفها، وتنتظر أمامها إلى الطلوع الخجول لبدر برتقالي من خلف الجبال البعيدة. وعندما يرتفع القمر في السماء ويتحول نوره البرتقالي إلى فضي، تنهض المرأة من جلستها مستندة إلى عكازها وتعود إلى البيت. هذه المرة، عند طلوع القمر، لم تكن المرأة جالسة كعادتها. كانت واقفة على ساقها الوحيدة بدون العكاز وعيناها مثبتتان على نفس النقطة بداخلها. وعندما انبسط الممر البرتقالي أمامها وداعب أصابع قدمها الوحيدة، أحنّت ساقها ودفعت بكل جسدها إلى الطريق. من نافذتي لم يكن هناك سوى عكاز معدني يتلألأ على حافة الماء وقمر يواصل صعوده الهادئ إلى سماء اختبأت منها النجوم.

أشعر بروحي وهي تدخل إلى جسدي بعد انتهاء تجولها الليلي. أفيق من خدر الحلم ولا أنهض من الفراش. أفكر في مغزى الحلم، في المرأة المعوقة، في العكاز، في البحر والقمر والطريق.

أحكي لجدتي اللحم بتفاصيله. فنقول لي، " لست معوقة كي تستندي إلى عكاز. الطريق مفتوح أمامك. امشي." أسألها وكأني أسأل نفسي، " أمشي ازاي يعني؟"
لكني أعتقد أنني فهمت اللحم وفهمت ماذا تقصد جدتي. المهم كيف؟

أترين وأرئدي ثوبا صيفيا خفيفا وأذهب إلى علي في المكتب. أجلس على رجليه وأتدلل عليه. يستغرب مزاجي اللطيف ويداعبني بعينين ضاحكتين. أنظر إلى عينيه وأحاول أن أكون جادة قليلا، لكن يغلبني الضحك. فيسألني علي، " ايه عايزة تحكي ايه؟"

أأخذ وضع من سيلقي بقنبلة.

" ايه رأيك ننفصل؟"

طبعاً لم ينفجر، فالقنبلة منزوعة الفتل من زمان.

" ليه؟ زهقتي؟"

" انت عارف اني ما بز هقش منك أبداً."

" تعبتي؟"

" لا، بس علاقتنا مختلة."

" ده صحيح"

" وكل واحد فينا بيحاول ينهيها لوحده."

" وبعدين؟"

" فبقول يعني لو نتفق ونهياها مع بعض."

" موافق ."

" بالسرعة دي ."

نضحك . ثم أقول له أنني أحبه ، وهو يعرف ، وأنه يحبني وأنا أعرف . وأن العلاقة شيء والحب شيء آخر . وأنه لم يعد هناك فرق أو فراق ، لأنه بداخلي مثلما أنا بداخله . وأنني أخشى على الحب من هذه العلاقة المختلة . كذلك لا أريد أن تنتهي العلاقة بشكل درامي .

" موافق يا علي ؟"

" موافق ."

" ولو ضعفت واتصلت بك ما تردش علي ، وانعت لو ضعفت ، ولو إني أشك ، واتصلت ، أنا مش هرد عليك ."

يتدل وهمة الانفصال ضاحكة في عينيه ، ويقترح ،

" طيب نشرب بيرة في صحة الانفصال .."

أحضنه وأقبله وأضحك .

" بموت فيك .. نشرب بيرة في صحة الانفصال .. بس احنا

اتفقنا خلاص ."

أبتهج لأننا استطعنا أخيرا إنهاء هذه العلاقة بشكل حضاري.
أبتهج لدرجة السكر، وأظل أهنيء نفسي على هذا الإنجاز. أشعر
بالحرية، بالطفو، بالخفة. لماذا نعتها كونديرا بأنها خفة لا تحتمل.
الخفة شيء رائع.

لكن مع خفوت زهو الانتصار، تنقل الخفة وتصبح شيئا غير
محتمل. تنغلق الحرية عليّ، وأصبح سجينة فراغ عبثي تماما.
ألمس جسدي، أنظر إلى نفسي في المرآة. أرى شخصا يشبهني،
لا هو امرأة ولا رجل، كائن محدد وغير محدد في ذات الوقت.
أنا موجودة، لكنني لست أنا كما أعرفني.

لا أشعر بألم ولا أشعر بفرح. أخشى أن أكون قد مت دون
أن أنتبه.

كلما تضاعف الفراغ، تضاعف هدوئي. أستسلم لخدر الفراغ
لوقت لم أعرف أحسبه. ويتولد شوق أعرفه ولا أعرف كيف
أشنقه.

أقف أمام المرآة، أتأمل نفسي

امرأة أنا يسكنني الألم

و يصفعني الحنين وفجأة أقول بطريقة مسرحية

و ماله، مصحوبة بهزة أفقية أمامية من الكتف الأيسر،

أضحك على ميلودراميتي.

ثم...

رغما عني

ياخذني الحنين إلى شوارع

نقطعها في اليوم مرتين على الأقل

أختبئ في زحام المارة

فقط عيناى

تطلان مواربة من خلف الظلال

تبحثان عنك وتتحاشيان ملاقة عينيك

تلك العينين اللتين تجردانني تماما

من كل أسلحة الدفاع عن نفسي

و في بحثي المستمر

كثيرا ما ألتقي زوج صديقة لي

به ملامح من حبيبي

عندما أراه أفرح كثيرا

و عندما أصافحه أسمع ضحكة في صوتي

و أرى إلتماع عيني منعكسا في عينيه

فأخاطبه وأوجه عيني إلى أماكن أخرى

أفتقدك يا علي

وأفتقد نفسي أكثر

ربما أيام أو أسابيع أو شهور مرت، لا أعرف. لا اتصالات ولا لقاءات.

ثم صدفة أخرى من صدف كونديرا.

الوقت ليلا. المكان وسط البلاد. أنتظر تاكسيا يقلني الى البيت بعد يوم طويل بين كتب ومراجع مكتبة الجامعة الأمريكية. سيارته تقف أمامي. يفتح علي الشباك ويسألني ماذا أفعل في هذا الوقت في الشارع. " مستنية تاكسي. " أرد وأنا لا أصدق أذني وعيني. " اركبي.

" وانت بتعمل ايه دلوقت؟"

" كان عندي شغل في الجامعة العربية. "

رغم التعب البادي على وجهه، الا أن فرحته لرؤيتي لا تخطئها العين.

" اتعشيتي؟"

" آه. "

" أنا ماكلتش حاجة من الصبح، وجعان جدا. تتعشي ثاني معايا؟" أوافق.

أثناء العشاء أسأله بدلع كيف حال الانفصال معه.

" عايزة الحقيقة، ومرتز عيش؟"

أومئ برأسي.

"محسيتش به"

"يا سلام!"

"كان عندي كمية شغل، واجتماعات، وضيوف عمل مش هتصدقني. بس أحيانا كنت أتصل بك من غير ما آخذ بالي، وقبل أن تتم المكالمة أتذكر اتفاقنا فأقول الخط." يصمت قليلا. ثم يسألني كيف كان حالي.

"في الأول كنت مبسوفة أوي، وبعدين وحشتي أوي."

ثم أحكي له عن زوج صديقتي الذي يشبهه. يضحك ويقول أنه يعرفه، ويضيف أن كل جماعة شمال أفريقيا تعرف بعضها خارج البلاد، ويتصارعون فيما بينهم بالداخل.

ننتهي من العشاء ومشاعر صافية تلفنا. أتساءل بيني وبين نفسي كيف ستنتهي الليلة، فيسألني علي إن كنت أرغب في شرب نبيذ خاص من بلده. يخفق قلبي خشية القرب وخشية البعد، والاثتان لا طاقة لي بهما.

السيارة تتحرك إلى البيت.

يأتي علي بكأسين ويفتح زجاجة النبيذ. يختبره الأول ثم يصب لي كأسا.

مع النبيذ أشف وأصير أكثر رقة، وبالمثل هو.

ياخذني في حضنه، ويهمس بعذوبة، "حبك."

و يفيض عليّ بالحب والدفء والسكينة.

أنا أحب هذا الرجل.

يأتي موعد سفره. يودعني هاتفياً. أقول له إنني أريد أكون معه ليلة سفره.

" بلاش عين، سيكون الوداع صعباً. "
لكنني أصر.

يفاجأ بملكة فرعونية، كما وصفني.
أذهب إليه في فستان أبيض طويل مكشوف الصدر، وحلي من الفيروز، وشعري جدائل تصل لمنتصف ظهري.
يرى قصدي.

" نعم سأزف لك نفسي الليلة، لمرّة أخيرة. "

" هل ما زلت تحبيني؟ "

" نعم. "

" لماذا؟ "

" سأحتاج لسنوات كي أشرح. "

" ممكن تلخصي؟ "

أبتسم.

أتذكر رابعة العدوية، فأخرج ورقة وقلما من حقيبة يدي

وأكتب:

عرفت الهوى مذ عرفت هواك

و أغلقت قلبي عمّن عداك

أحبك حبين، حب الهوى
و حبا لأنك أهل لذاك
فأما الذي هو حب الهوى
فشغلي بذكرك عمّن سواك
و أما الذي أنت أهل له
فكشفك لي الحجب ^{عن} ^{أبالي}

أعطيه الجواب. يقرأ على مهل. ثم ينظر إليّ نظرة عميقة
جدا تحمل معاني كثيرة. رأيت الحب والامتنان والدفء والشجن.
لم أستطع أن أقول شيئاً آخر بعد ما رأيت. انتظرت إلى أن
بادر هو بسؤال.

"وما هي الحجب؟"

تصدر عني تهيدة، ثم أجيب.

"بك أكتمل يا علي. معك تتسق تناقضاتي وأكتمل."

نشرب حتى ساعات الصباح الأولى. ثم نذهب إلى فراشنا
معا للمرة الأخيرة. يحتضني علي ويقبل علي. لكن جسدي
يستغلق.

أعتر له. يغلق فمي بقبلة دافئة ويهمس في أذني، "ما
تعنذريش."

يلف ساقه حول ساقي، ويشبك ذراعيه حول صدري.
بعد ساعات قليلة، ننهض.

يذهب إلى الغرفة الأخرى يحضّر حقيبته، وأذهب أنا إلى
المطبخ أعد القهوة التي تعلمت أخيراً كيف أصنعها.
حين نجهز يقبلني على جيبني. وننزل.
يقول لي، " اذهبي من هنا إلى بيتك."
لكني أصر على اصطحابه إلى المطار.
يخذرنى مجدداً، " سيكون صعباً يا عين."
نستقل تاكسياً. ونجلس صامتين إلى أن نصل إلى المطار.
أمام صالة المغادرة، يقبلني على خدي ويقول، " أشوفك
بخير."

أمسك ذراعه ولا أريد أن أفلته.

" أستناك يا علي؟"

" ما تنتظرش يا عين."

أقلت نفسه من قبضة يدي. تابعته بعيني إلى أن اختفى وسط

جموع المسافرين.

أتسمّر مكاني كعروس أتاها نبأ مصرع حبيبها ليلة عرسها.

لا أستطيع أن أمر على المشهد السابق دون تعليق، فالمفارقة تفرض نفسها عليّ. المشهد على دراميته يذكرني ببعض المشاهد السينمائية في الأفلام العربية خاصة تلك التي تنتمي لفترة السبعينيات والثمانينيات. حبيبان مرتبطان بقصة حب منذ سنوات، الحبيب لا يستطيع الإيفاء بمتطلبات الزواج، فتنتهي العلاقة بأن تتزوج الحبيبة من ثري عربي أو من تاجر من الوزن الثقيل. وعادة ما تضع الفتاة دبلّة الخطوبة أمام خطيبها، إذا كانا مخطوبين، على مائدة عليها كوبان من عصير الليمون وضعهما جرسون معتاد على مثل هذه المشاهد. تغادر الفتاة ويبقى الشاب الذي تعدى الثلاثين من عمره دون أن "يكون نفسه". اللقطة التالية، غالبا ما سنرى الشاب في خمارة شعبية وأمامه زجاجة براندي أو روم، يحاول أن ينسى. وقد يتجه إلى غرزة بحي من أحياء القاهرة القديمة مثل الباطنية، أو بمدافن البساتين أو الإمام الشافعي مثلا، وينضم لجلسة تحشيش. أو قد يذهب إلى القهوة التي اعتاد الجلوس بها منذ أن تخرّج من الجامعة في انتظار خطاب التعيين من القوى العاملة. غالبا ما سينصحه أصدقاؤه بأن ينسى

الفتاة فهي لا تستحقه. وربما يشرذ الشاب بذهنه ويفكر كيف يصبح غنيا. تهريب أو مخدرات، ثم يتخيل نفسه وقد صار رجل أعمال، غنيا ومشهورا، وبطريقة ما تظهر فتاته السابقة فيفكر في العودة إليها لكن بعد أن يذلها الأول.

لكن ما الذي يدفع علي إلى الزواج حقا من امرأة لم يذكر مرة واحدة أمام عين أنه يحبها. ربما لا يستطيع قول مثل هذا الكلام إلى امرأة أخرى اعترف لها بحبه. بل إن ما فهمته عين هو أنه زواج تقليدي مقرر سلفا. وبشكل ما لا تستطيع عين تخيل أن يفرض على المرأة الزواج بشخص لا ترغب فيه في هذا العصر، إلا في الريف والصعيد ربما، فما بالك برجل وفي منتصف العمر! يبدو لي المشهد معكوسا. ومن هذه الزاوية، مع كل احترامي للست عين، أرى المشهد كوميديا. لكن كيف ستتعامل عين مع النهاية التي كانت تعرفها مسبقا؟

ستقول لنفسها
إختار اللاحب
و أنا كائن أتتفس بالحب وللحب
سيظل مكانك محفوظا بالقلب
لكن يجب أن أفسح مكانا لآخر
و ربما آخرين
هكذا تقرر .

و عندما يشد الحنين
ستحمل كتابا و مرآة
و تقطع مسافات
و من حين لآخر
ستبحث في المرآة عن عيني راسختين
فترى عيني زائغتين
تبحثان عن عيني راسختين
و لا تجدان
فتحمل الكتاب و المرآة
و تقطع مسافات أبعد

إلى أن تصل سيوة. وهناك ستدع بدويا، تعرفه مذ كان صبيا
لم يبلغ الحلم بعد، يأخذها إلى حمام كليوباترا وسط صحراء اكتمل
قمرها. وستخلع ثيابها أمامه قطعة قطعة، وتنزل البئر. سينزع
البدوي ثيابه دفعة واحدة ويلحق بها. ستهاج حجم عضوه في
البداية. لكنها ستفترسه في النهاية بشراسة حيوان أصيب في مقتل.
ثم تبكي.

يأخذها سليمان البدوي، الذي لا تزال تنتظر إليه كصبي رغم
 ما رأت منه، إلى كَثِيب رملي على أطراف الواحة حيث يجتمع
 رفاقه مع مجموعة رحالة أجانب. يشعل البدو النار ببراعة، ثم
 يحضرون العشاء. تفرح عين لرؤية قشرة الأرض تنفتح عن جدي
 كان يُطَيَّب على حطب تحت الأرض. ورغم توفر الملاعق
 والسكاكين إلا أن الكل، بما فيهم الأجانب، يأكل بالأيدي. يعلق أحد
 الأجانب أنه لم يأكل جديا مشويا بهذه الطريقة من قبل. " كلُّ كلُّ،"
 يرد واحد من البدو. بعد هذا العشاء الدسم، يسترخي الجميع تقريبا
 ما عدا رفاق سليمان. يبدؤون في تحمية الطبل والدفوف إلى أن
 يشتد الجلد. ثم يشرعون في الغناء بلغتهم أولا، وهي لغة شفوية
 من لغات الأمازيغ. ثم ينشدون مدائح تحرك أبدان الجالسين. تمر
 زجاجة عرق بلح على الحاضرين. كل واحد يأخذ رشفة واحدة
 فقط، ثم يمرر الزجاجة إلى التالي. العرق قوي جدا، ومع كل
 رشفة تصير عين في دنيا أخرى. وعندما بلغ الإنشاد أشعار عمر
 ابن الفارض، قامت تذكر في وسط المتحلقين. فأخذ المنشد يردد
 المقطع نفسه مرات ومرات،

تملكْت قلبي وعقلي ومسمعي
 جسمي وأحشائي وكلّي بأجمعي
 في البعد لوعة وفي القرب رحمة

و في الوصل راحة إذا الحب منيتي
تتشج عين وهي تترنح بين أذرع الذاكرين إلى أن تسقط
أرضاً. عندما تفيق، تجد سليمان جوارها. وبعد أن تعناد عيناها
الليل تتبين وجود الآخرين بشكل متفرق إما في خيام منصوبة أو
في منامات محمولة. تتأمل السماء التي غرب منها القمر بنصف
عين ثم تعود للنوم.

مع طلوع الشمس ينهض الجميع. يتناولون الفطور ويبدأ
حديث عن رحلة إلى الصحراء الكبرى. عين كانت تعتقد أنها لن
تحتاج للذهاب إلى أبعد من سيوة. وعندما استيقظت بقلب متقل
فكرت بأن تمد إقامتها بسيوة. لم تكن تتوقع أبداً رحلة في قلب
الصحراء الكبرى. ربما في ذلك دواؤها. وافقت على الفور عندما
عرض عليها أحد الأجانب الانضمام إليهم إن رغبت. تطلعت إلى
وجوه وأجساد المجموعة المتجهة إلى صحراء ليبيا، والتي لم
تتعرف عليها جدياً بعد. لا بأس بها، قالت لنفسها. " لا بأس بها
على الإطلاق." وضحكت بينها وبين نفسها.

تتصل بجدهتها وتخبرها بأمر رحلتها التي قد تمتد أسابيع. كذلك تتصل بالسيدة التي تعنتي بجدهتها أوقات غيابها، وتطلب منها أن تبني مع جدتها إلى حين عودتها. تشتري أغراضا للرحلة وتنضم للمجموعة. ثلاثة رجال وامرأة وزوجها أو رفيقها من ألمانيا، وسويسرا والنمسا. ثلاث سيارات نقل مقلعة من مخلفات الحرب العالمية الثانية، ودراجة بخارية صحراوية تخص شابا ألمانيا. تركّز عين على الدراجة وعلى صاحبها، مبدئيا.

تتحرك المجموعة صباحا حسب إرشادات ال جي بي اس شمالا ثم غربا إلى واحة الجغبوب الليبية. السير بطيء والجو حار، إلا أن ركوب الدراجة خلف مايكل كان مثيرا للغاية، خاصة عند مطالع ومنازل الكثبان الرملية، حيث تصل الإثارة إلى حد الرعب. يتوقف السير فترة الظهر لتناول الغداء ثم يستأنف مرة ثانية دون توقف إلى أن تغيب الشمس. الكلام مع مايكل صعب أثناء قيادة الدراجة بسبب الريح التي تملأ أذني عين. إلا أنها مع الوقت تعتاد الصمت وتركز مع صفير الرياح وتزداد التصاقا بمايكل، وتقول لنفسها، " ليل الصحراء طويل."

قبل الغروب بقليل تتوقف السيارات على ربة رملية قريبة من أشجار شبيهة بأشجار السنط. ينزل الجميع، يتمدد السائقون على الرمل، والباقي يقطع بعض الفروع الجافة ويبدأ في إشعال

النار. تساعد عين في نقل الحطب إلى أن يسألها مايكل إذا كانت تود استكشاف المكان بالدراجة. تتحمس عين دون أن تبدي ذلك، فترحب لكن تشير إلى ضرورة مساعدة الآخرين. فيرد مايكل بأن عددهم وفير. تركب خلفه وينطلقان إلى تل بعيد إلى حد ما، لكن لا يزال بإمكانهما رؤية كشافات السيارات التي تركت مضاعة كعلامة. تتسنت أشعة الشمس البرتقالية بين سحب منخفضة فتشكل جزرا ووديانا وبحورا وجبالا. يحتضن مايكل عين من الخلف، ويداعب أذنها بلسانه، " غروب بديع، أليس كذلك؟" وقبل أن تفكر في شيء ترد به، يكون قد ضمها إلى صدره وبدأ في نزع ملابسها. يسندها إلى شجرة ويبدأ في لثم جسدها من أصابع قدميها وحتى أذنيها إلى أن تدوخ عين من اللذة وتوشك على الوقوع فيرفع مايكل فخذيها بين ذراعيه ساندا ظهرها إلى جذع الشجرة. يقتحمها، ويهزها، ويزلزلها إلى أن يأتيها معاء، وصراخها يرجع في الفضاء.

يغفو الاثنان ثم يفيقان على برد الصحراء. الظلام حلّ بالمكان. عين تريد التفكير في إحساسها بعد استمتاعها بممارسة الجنس مع غريب آخر، تسأل نفسها بماذا تشعر. لكن لا الظلام ولا البرد ولا مايكل يسمحون لها باختبار مشاعرهما. يرتديان ملابسهما ويركبان الدراجة. بطريقة ما يضلان الطريق. يلف مايكل عدة دورات في اتجاه ما يفترض أنه كشافات السيارات، إلا أنه لا يقترب بل يشعر بأنه يبتعد. ثم اختفى الضوء وأشعل في مكان آخر. يحترق الاثنان. الظلام صار كثيفا والجو أبرد.

يتشاوران ثم يقرران الاتجاه نحو الضوء الجديد. حتى هذا، الوصول إليه عسير. يرتفعان ويهبطان مع التلال، لكن وكأنهما يتحركان في حلقات.

يصلان حدود قرية مهجورة، بيوتها الطينية مهدمة، ولا يوجد بها ما يدل على وجود أي شكل من أشكال الحياة. يتقدمان في نفس الاتجاه إلى أن يصلا بالقرب من مصدر الضوء الذي رأياه من قبل. يتوقفان أمام بيت خرج كل أهله تقريبا لاستكشاف مصدر الصوت الغريب الذي يهدر في صمت تلك الصحراء.

"السلام عليكم" تحيي عين أهل الدار، يردون عليها بنفس التحية. تتحدث عين إليهم بالعربية وتخبرهم أنها ضلّ الطريق، ولا يعرفان كيف يعودان إلى رفاقهم.

"انفضلوا، انفضلوا" يقول أحد رجال البيت لم يتبيننا ملامحه أو يحددا عمره في الضوء الشحيح المنبعث من عمود إنارة متهالك.

يُضيفهما نساء البيت دون أن يتمكننا من رؤية وجوههن. الأطفال يأتون من كل ناحية، وفجأة تمتلئ ساحة الدار الداخلية بأهل القرية. يسأل أحد الشيوخ من هم، فتجيب عين بأنهم مجموعة رحالة، وأن هذا، وتشير إلى مايكل، زوجها. يبدأ سيل من الأسئلة حول ماذا يعملان، وأين يسكنان، وإن كان لديهما أولاد. تضطر لتأليف حكايات وتترجم لمايكل حتى يعرف أين موقعه، وخشية أن يظهر شخصا يعرف الإنجليزية أو الألمانية، فيتحدث معه مباشرة ويكشف كذبتها. بعد فترة تبدي عين الشعور بالتعب والرغبة في النوم حتى توقف سيل الأسئلة. يتفهم أصحاب

البيت وترشدهما امرأة إلى غرفة الضيوف. يتحسسان طريقهما إلى الفراش، يخلعان ملابسهما، ويبدأان المداعبة. يصلهما صوت موتور. سيارة تتوقف أمام ساحة الدار وأصوات تتحدث بالألمانية، فيسرعان حركاتهما. وقبل أن يصلا إلى ذروتها، يفتح باب الغرفة، ويعلن شخص ما وصول رفاقهما. يند عن مايكل أنين. يرتديان ملابسهما في الظلام. ثم يخرجان إلى مصدر الجلبة، اثنان من رفاقهما جاءا في إحدى السيارات يقتفیان أثر عجل الدراجة والضوء. يشكر مايكل وعين أهل الدار على

حسن ضيافتهم وكرمهم وينصرفان مع رفاقهما.

على الطريق، يكتشفان أنهما لم يكونا بعيدين عن مخيمهما. ويخبرهما واحد من رفاقهما أنه قد أطلق رصاصا في الهواء كي يستدلا على مكان المخيم. يتذكر مايكل أنه سمع صوت طلقات لكن الريح كانت تلف بصوت الطلقة فلم يستطع تبين من أي اتجاه تنطلق. بعد دقائق يصلان إلى بقية المجموعة ويحكي مايكل ما حدث وهما يتناولان ما تبقى من العشاء البارد. البعض ينام بالسيارات والبعض يفرش منامات خفيفة. مايكل وعين يتشاركان في منامة مزدوجة، ويستأنفان ما انقطع بينهما.

مع الوقت الذي يمر ببطء شديد، وحديث مايكِل الذي لا ينقطع عن دراجته العبقريّة وحرفيته في القيادة، ومحاصيل مزرعته التي تتضاعف بفضل استخدامه لأحدث التقنيات، يبدأ الملل يتسرب إلى نفس عين. ورغما عنها تجد نفسها تقارن بينه وبين علي. لكن أين علي الآن؟ تحاول تخيله مع تلك المرأة الأخرى، وتساءل نفسها هل يفرد لها ذراعه اليميني كي تؤسّد رأسها عليها، هل يشبك ذراعيه حول صدرها مثلما كان يفعل معها، هل يتنفس هواء الأخرى مثلما كان يتنفس هواءها؟ تشعر بغيرة ما.

تسأل مايكل إن كان قد أحب من قبل. يبدي اندهاش من يسمع بمصطلح جديد ويقول انه لا يحتاج لأكثر من زجاجة نبيذ كي يغزو أي امرأة. تشعر بالقرف وتصمت.

بعد استراحة الغداء، تدّعي عين أنها تشعر بالتعب من ركوب الدراجة. تترك مايكل يستعرض مهاراته الفنية وتتضم إلى جورج النمساوي في مركبته.

يبدأ جورج الكلام بسؤال عين إن كان سبق لها زيارة النمسا، فتتفهي. يخبرها أنه أقام بالقاهرة ثلاث سنوات في منتصف السبعينيات، ويغمز بعينه، "أكيد كنت طفلة حينها، أو ربما لم تولدي بعد." تبادلته عين المجاملة بمجاملة، "أكيد جئت في رحلة مدرسية لزيارة الأهرامات." يضحك عاليا، ويقول أنه كان يعمل

في شركة أجنبية بمصر الجديدة. ثم أضاف أنه لطالما رغب في التعرف على فتاة مصرية، لكن وجود زوجته معه في تلك الفترة منعه من ذلك. تبتسم عين وترمي له نظرة " ها قد جاءتك الفرصة من حيث لا تدري." يلتقط جورج الطعم بكامل وعيه وبإرادته الحرة ويزيد، " وها هو بحر الرمال العظيم ينشق عن حورية فرعونية." ثم يقول لها أنه رغب في التودد إليها منذ أن رآها في عشاء البدو في سيوة، لكنه تردد. " بعد ذلك أنت اخترت الدراجة.. " تعلق أنه لم يسبق لها ركوب دراجة صحراوية، وتضيف مازحة، " كما أن لم يسبق لي ركوب سيارة من أيام الحرب العالمية الثانية." ثم تسأله كيف حصل عليها، فيخبرها عن مزاد أقيم منذ سنوات لبيع تلك المخلفات، وأنه اشتراها بسعر رخيص جدا، وكانت في حالة جيدة بشكل عام، وأنه قام باستبدال وتصليح بعض أجزائها فهو بالمناسبة ميكانيكي.

تغرز إحدى السيارات، فتتوقف القافلة عن السير. يخرج جورج من سيارته لوحين معدنيين بهما ثقب واسع ويذهب لنجدة السيارة المغروزة. تشاهد عين العملية من نافذتها، وتعجب بمهارة جورج وبساعديه القويين، وتتخيل هذا الرجل مقتول العضلات في الفراش. تتطلع إلى السماء. لم يتبق الكثير على غروب الشمس.

تستأنف القافلة السير. ينظر جورج إلى إحدى الخرائط ويخبر عين أن المسافة إلى واحة الجغبوب ليست بعيدة لكنهم غالبا لن يتمكنوا من الوصول إليها الليلة. وقبل أن تهبط الشمس تماما

يَتَوَقَّف الركب بالقرب من بضع أشجار جافة ويصفون السيارات على هيئة نصف مستطيل انقاء للريح والرمال.

يكسر الرجال الأغصان الجافة ويبدأ أحدهم في إشعال النار، بينما تتبادل عين والسيدة الأخرى الحديث. اليزابث ممرضة في سويسرا وتهوى الترحال. التقت بزوجها في الهند حين كان يتعلم فنون اليوجا، ولكن ليس لديهما أطفال. عين تعلق بأن المجموعة متكاملة إذ بها ميكانيكي وممرضة ومزارع. تضيف اليزابث أن هناك جون ضابط ألماني متقاعد يهوى الصيد البري. تستثني عين في خيالها جون وبالطبع فريدريك المتأمل زوج اليزابث. مايكل، انتهت منه. إذن لم يتبق سوى جورج. تتمنى ألا يخيب ظنها، فهي تعلم أن المظاهر خداعة، وكم من مرة صادفت رجلا مفتول العضلات، طول بعرض، ووقت الجد لا يصمد أمامها.

تقريبا لم يتبق شيئا من الخضروات الطازجة، فيخرج جون من خزانة سيارته معلبات مكتوب عليها "مخصصة لحلف الناتو". يفرغ المعلبات ويضع المحتويات على المائدة المخصصة للأكل. حفريات تشبه السردين والبسكويت والفواكه المجففة. يبدأ جون في القرقرشة التي يتضخم وقعها في الصمت الذي يلف المكان، ويتبادل الآخرون النظرات ثم ينفجرون في الضحك، وهم يحمدون الرب أن السواحة على بعد أميال وأنهم يستطيعون تحمل الجوع حتى موعد الغداء في اليوم التالي. جون لا يعبأ لضحكاتهم ويواصل القرقرشة.

يشد الليل ومعه البرد، فيبدأ الجميع في إعداد مناماتهم. يسأل جورج عين أين ستنام، فتسأله إن كان بإمكانها المبيت في سيارته لأن الجو بارد. " بالطبع، وأستطيع أن أدفئك أيضا." يرد بحماس. لا يخيب ظنها. بل يكاد جورج يتقمص دور الصياد في شخصية جون وأخذ يفترسها دون هوادة. تغتبط عين وتتركه يأكلها كيفما يريد. لكن حين ينتهيان لا تدعه يضمها إلى صدره. فقط تشكره. يحاول الكلام معها لكنها تدعي أن النوم يغلبها. ثم تدبر ظهرها.

ما الذي فعله؟ تسأل نفسها.

لا ترد، إنما تسيل دموعها في هدوء.

في الصباح، لا يوجد فطور سوى حفريات النانو التي يقرقشها جون. الباقي يقرر الصبر إلى حين وصوله الجيوب. وفي الطريق يواجهون سلسلة تلال رملية متكلسة. تغير السيارات من اتجاهها وتلتف حول التلال. أما مايكل، فيقرر استعراض مهاراته في القفز أو ربما الأدق الطيران بدراجته، فيسقط من على ارتفاع عشرين أو ثلاثين مترا ويصاب بقطع حادة في فخذه وربما كسور في ساقه. يسرع الجميع إليه، وتأتي اليزابث بصندوق الإسعافات الأولية. تضمد جروحا وتعد جبيرة، لكن هناك قطوع غائرة تستلزم جراحة. يضع جورج ما تبقى من الدراجة في بطن سيارته، وينقل فريديريك واليزابث مايكل إلى داخل سيارتهما، حيث أعدا له فراشا بروابط حتى لا يتحرك مع اهتزاز السيارة.

في مدخل البلدة تسأل عين أول شخص يقابلهم عن أقرب مستشفى. يرد الرجل بأنه لا توجد سوى مستشفى واحد بالبلدة ويرشداه إليها. في المستشفى، يقوم طبيب بالكشف يدويا على مايكل، ويفيد بأن من الأفضل نقله إلى مستشفى بنغازي العام فهي أكثر استعدادا. مايكل يشعر بالقلق ويقرر أنه من الأفضل العودة إلى ألمانيا وعمل الجراحة اللازمة هناك. يتشاور مايكل مع المجموعة حول كيفية العودة وإجراءاتها، بينما تجلس عين على

مقربة منهم دون أن تتدخل في الحديث الذي يدور الآن بالألمانية. رغم قلقها على مايكل، إذ بعد عدة أيام في الصحراء صارت المجموعة كأسرة واحدة، إلا أنها حمدت الله أن هداها لترك مايكل في اللحظة المناسبة، وإلا كان زمانها ممددة على سرير معدني آخر جواره.

القرار النهائي هو أن ينقل جورج مايكل في سيارته ويتبعهما جون في سيارة أخرى إلى طبرق، حيث أقرب مطار داخلي، ومن هناك يرتبون سفر مايكل إلى بنغازي ومنها إلى ألمانيا أو إيطاليا إن تعذر السفر إلى ألمانيا مباشرة. وعين واليزابث وفريدريك ينتظرون بالواحة إلى حين عودة جورج وجون بعد يومين أو ثلاثة على أكثر تقدير.

بعد مغادرة الثلاثة المتوجهين إلى طبرق، تسأل عين عن أقرب مطعم ويتوجهون إليه. مطعم شعبي صغير لا توجد به قائمة طعام، فيطلبون الموجود. خضار وأرز ولحم إبل. يأكلون بنهم ثم يشربون شايًا أخضر بالنعناع. تسأل عين الشخص الذي أحضر الطعام عن الأماكن التي يمكن زيارتها. يخبرها عن بعض المقابر القديمة وبحيرة الملفاء، وفي السياق يخبرهم عن بطولات السنوسي الذي وُلد بالجغبوب. ثم يسألهم عن جنسياتهم، فتخبره عين دون حرج إذ ليس بينهم طليان.

يقوم الثلاثة بجولة على الأقدام في البلدة القديمة التي تشبه كثيرا البلدات القديمة بواحات مصر، تقريبا نفس البيوت الطينية ذات الأسقف المصنوعة من جذوع النخيل. يردون على تحية

الأطفال الذين يبتسمون ويلوحون لهم. يشتررون فاكهة طازجة لليوم، ويؤجلون شراء باقي الأغراض لحين عودة رفاقهم. سيستغلون وجودهم في البلدة ويأكلون في المطعم. يتوجهون إلى المقابر القديمة التي تبعد عن البلدة عدة كيلومترات. مقابر تشبه إلى حد كبير بعض المقابر البطلمية التي زارتها عين في منطقة كوم الشقافة بالإسكندرية. لا يقضون وقتا طويلا بالمقابر، ثم يتفقدون على الذهاب إلى تلك البحيرة الصحراوية التي ذكرها الشاب الذي قدم لهم الطعام. البحيرة تحوطها أشجار النخيل، ومنعزلة إلى حد ما. هناك شباب يستحمون وصبية يلعبون على شاطئها الرملي. يبتعد فريدريك عن ذلك الجزء المأهول نسيبا، ويذهب إلى ناحية أخرى هادئة تماما إلا من أصوات بعض الطيور البرية.

ماء وسط الصحراء تخطه انعكاسات أشعة الشمس الحارة التي تشق ممراتها من خلال جريد النخيل. جمال المنظر يبعث البهجة إلى نفس كل من اليزابث وزوجها فيتسابقان عدوا إلى البحيرة ويرشان بعضهما بالماء، ثم يلتحمان في قبلات وابتعادان. عين تتأمل المنظر البديع وتشعر بقل في قلبها. تنظر خلصة إلى العاشقين اللذين يتبادلان الحب في الماء وتشعر بالغيرة رغما عنها. لا تحسدهما. لكنها تشعر بوحدة شديدة وفراغ هائل وحزن يعمقه ممارسة الجنس من دون مشاعر. ربما عليها أن تتوقف عن ذلك. لكن أليس شيء أفضل من لاشيء على الإطلاق. تسأل نفسها هل تساوي لذة دقائق الخواء الروحي الذي يلي تلك اللذة.

الفكرة تستوقفها، وتتساءل هل كل الناس يشعرون بما تشعر به؟ هل كل الناس يشعرون بهذا الذي تطلق عليه "خواء روحي" بعد الوصول إلى ذروة اللذة من دون حب. أكيد لا. ترد على نفسها وهي تتعجب من حماقة السؤال. عين أنت نكدية مثلما وصفك علي ذات مرة.

و علي ذكر النكد، لا توفر عين سببا له إلا وتفكر به. فهي مثلا لا تتذكر الأوقات الحلوة التي قضتها مع علي، إنما تستدعي أشد الأوقات تعاسة. لا تذكره، مثلا، وهو يبوح بحبه لها همسا، أو تتخيله معها الآن يسبحان معا بالبحيرة. لا. لكن تتذكر جيدا تفاصيل شجارها معه وانسحابه الهادئ إلى الغرفة الأخرى وشعورها بالألم والاستياء، فتشعر بالغضب وتلقي بعنف حجارة صغيرة إلى البحيرة وهي تلعن ذلك الرجل الذي تعلم جيدا في قرارة نفسها أنه لم يبخل عليها أبدا بمشاعره. لكنه أبقى على خط رجعة. عشان مش أهبل زيك.

لا فائدة من هذا التفكير المرضي الآن. تعود عين إلى الواقع وتقرر فعل شيء ايجابي. أن تستحم مثلا وتغسل ملابسها، فالماء متوفر أمامها. ولتواصل هذيبتها الداخلي بالمساء حين تخلد إلى النوم بمفردها.

أثناء تناولهم الغداء ظهر اليوم التالي، يصل جورج وجون. يخبرهم جورج أن حظ مايكل كان طيباً للغاية. فعندما وصلوا إلى مطار طبرق بالأمس كانت هناك طائرة على وشك الإقلاع إلى بنغازي. ومراعاة لحالته الصحية، سمحت له سلطات المطار بالصعود إلى الطائرة ووفروا له نقالة. وأضاف جون أن المسؤولين بالمطار كانوا متعاونين جداً وسهلوا لمايكل باقي إجراءات السفر إلى ألمانيا مباشرة.

يسأل جورج عين كيف كان وقتهم. فتخبره عن المقابر والبحيرة. يقررون أن يبقوا اليوم بالواحة ويستمتعون بالسباحة والتزلج على الرمال وأكل لحم الإبل.

تبتهج عين لعودة جورج فهو مرح. وبالفعل يقضيان وقتاً ممتعاً. لكن عندما بدأ مداعبتها بالمساء نفرت. يسألها لماذا فلا ترد. يلح فتجيب بأنها تفضل الاحتفاظ بمشاكلها لنفسها. يصمت جورج، وتُفاجأ عين بجوابها. هذه جملة علي. كان يقولها عندما تلح عين في سؤاله عما يؤرقه. هل صارت تتحدث مثله؟ وما معنى هذا الجواب. هي تعرف أنها لا تريد إشراك جورج في حياتها الشخصية وتريد أن تضع مسافة كي لا تتعمق الأمور. هل يفكر علي بنفس الطريقة؟ كان نادراً أن يتحدث عن مشاكله إلا إذا كان الأمر يخصهما. وعندما كانت تسأله عن بعض أموره

الشخصية ، كان يرد أن ذلك يخصه. وكانت تساء جدا من هذا الرد. لكن ها هي الآن ترد بكلام شبيهه. لكن هناك فرق. أنا وعلي مرتبطان، ثم تصحح لنفسها، كنا مرتبطين. هي لم تخف عنه شيئا، وهو أخفى عنها أمر ارتباطه بامرأة أخرى. تتذكر عين الموضوع من جديد وتشعر بالغضب ثانية فتستدير إلى جورج وتبدأ في مداعبته. يتأعب ويقول انه يرغب في النوم. تشتمه عين بالعربية وتلكمه حتى يستثار ويلقيها على ظهرها وهي تضحك ... الباقي مفهوم. ولا يتركها إلا بعد أن تتوسل إليه أن كفى.

مع ضوء الصباح تكتشف عين آثار الليلة السابقة، عضات حب في كل مكان. تشعر بالخل وتضطر لارتداء قميص بأكمام طويلة رغم سخونة الجو.

بعد الإفطار، يتوجهون إلى سوق البلدة ويشترون خضروات وفاكهة ولحم إبل وتوابل وشايا أخضر ونعناعا جبليا. ويتوجهون غربا إلى واحة جالو. مع انتصاف النهار، يتوقفون لتناول غداء خفيف ثم يستأنفون السير. مع اهتزاز السيارة تسمع عين صوت دراجة مايكل وهي ترتج ببطن السيارة. تبتسم وهي تتذكر حبه للاستعراض. ثم تسأل جورج ماذا سيفعل بالدراجة. سيتفحصها لاحقا ليرى إن كان يمكن إصلاحها واستخدامها مجددا.

تأخذ عين إحدى الخرائط وتطبقها لتستخدمها كمروحة. يسألها جورج لماذا ترتدي هذا القميص في هذا الجو. تريه علامات. يُصفر بفمه كعلامة تعجب. ثم يريها علاماتها. فتصيح،

أنا اللي عملت كده!!" فيضحك قائلاً، " لا. فعلت ذلك ذئبة متوحشة من ذئاب الصحراء." فتخجل عين خجلا مضاعفا، من علاماته وعلاماتها. لكنها تقول، " كانت ليلة حلوة." يوقف السيارة، وينظر إليها طويلا. فتسأله ما الخبر. " أنت غريبة جدا." تشعر بخطر الكلام فتصمت. يدير موتور السيارة ويستأنف السير. تنتبه عين لما تفعله، وتفسر في ضوءه صمت علي. الشعور بالخطر. التورط.

تقرر عين تعلم الزهد على الطريقة الهندية، فتتضم إلى اليزابث وفريدريك في الصباح وتحاول أداء تمرينات اليوجا. رغم الألم الذي يصيب ركبتيهما إلا أنها تفرض على نفسها التركيز على بقعة رمل أمامها أو على الإيقاع الموسيقي للريح كما يعلمها فريدريك. رغم صعوبة التركيز خاصة مع صوت الريح إذ لا تجد به أي إيقاع، إلا أنها تشعر أن التدريب اليومي، خاصة في تلك الساعة من الصباح، يفيدها بشكل ما. رغم ألم الركبة والذراعين تشعر براحة ما. بصفاء. بالزهد في الرجال.

صارت تبسب بمفردها في منامتها في الهواء الطلق. تتأمل النجوم وتنتظر ما سيسقط منها كي تتمكن أمنية واحدة. لكن النجوم أسرع منها. ومع ذلك تقول أمنيتهما حتى بعد أن تسقط النجوم. ألا تفترق عن علي.

رغم جمال الصحراء وتماوج كثبانها الرملية والمنحوتات الصخرية البديعة، إلا أن أجمل لحظة هي لحظة رؤية واحةٍ عن بعد. النخيل والعيون المائية. يكاد الكل يشهق في تلك اللحظة. والصمت الذي تفرضه هيبة الصحراء ينقطع. يبدأ الكلام، والضحك، واللعب. تفرض الواحة إيقاعاً آخر. الأكل والثرثرة في المطعم مع أصحابه المحليين، والسباحة في أحد العيون المائية المنعزلة، والتزلج على الرمال المتاخمة للواحة.

في جالو، تنضم إلى قافلة عين مجموعة قادمة من الطرف الآخر للصحراء. خمسة أمريكيان قدموا من المغرب، فالجزائر، ليبيا. ومن ليبيا يريدون الذهاب إلى تشاد ثم السودان ليصلوا في النهاية إلى منابع النيل.

هؤلاء الأمريكيان يفضلون أن يكون معهم أدلاء من أهل الصحراء يرافقونهم من منطقة إلى أخرى، وقد يستمرون معهم أو يسلمونهم إلى أدلاء آخرين. تتفق المجموعة الأمريكية مع ثلاثة أدلاء لمرافقتهم حتى جبال تبستي. ينضم البدو إلى المجموعة لكن في سياراتهم الجيب الخاصة، ويأتون بجدي سيكون مصدر تسلية للجميع حتى لحظة شوائه.

تتحرك المركبات كلها كقافلة واحدة تتقدمها سيارة البدو. وباستثناء الصخب الذي يحدثه الأمريكيان وأدلاؤهم أثناء

الاستراحات الجماعية، ومأمة الجدي الذي وقع في غرام واحد من الأمريكان، تفرض الصحراء هيبته على الكل.

بعد العشاء، يبدأ البدو الضرب على الدفوف ثم يرتجل أبو بكر، وهو أصغر الثلاثة، أغاني حسب المواقف. الموقف الأكثر سخونة هو عشق الجدي لروبرت الأمريكي. وروبرت يكره الحيوانات بصفة عامة، ولا يطيق رائحة هذا الجدي بالذات. وكلما ابتعد عنه ازداد التصاق الجدي به. ورغم أن الجدي يبيت في سيارة البدو، إلا أنه يناجي روبرت طوال الليل. وعندما فاض الكيل بروبرت طلب من البدو ذبحه مباشرة. لكن البدو أجابوا أن ذبحه سيكون ليلة اكتمال القمر. كما اعترض الباقي على همجية روبرت ومازحه أحدهم، "يا رجل الجدي يهواك وأنت تريد قتله. عار عليك. يجب أن تبادله حبا بحب". يضحك الجميع ويغضب روبرت.

في الصباح تواصل عين تدرجاتها على اليوجا مع اليزابث وفريدريك، وتتضم إليهم الفتاة الثالثة في المجموعة. أمريكية اسمها جينا، تعمل بالصحافة وتريد أن تُولف كتابا عن الصحراء.

في ذلك الصباح فاجأ السؤال عين. ماذا تفعل بالصحراء؟ وإلى متى؟ كل من معها له هدف من الرحلة. الوصول إلى مكان ما، التسلية، الاستجمام، الكتابة. أما هي، فماذا تريد؟ لا تعرف. لكنها على يقين أن الصحراء سترشدها إلى الطريق. لكن، الطريق إلى ماذا؟

ليلة اكتمال القمر كانت عيداً. توقفت السيارات عصراً، وبدأ
البدو في إشعال النار. ومع اشتعال الحطب تعلو مناجاة الجدي
لروبرت في صيغة استغاثة. يزداد حنق روبرت فيسير بعيداً عن
صراخ الجدي، ولا يعود إلا بعد أن ينتهي أمره. ورغم أنه كان
أول من يريد التهام هذا الجدي، إلا أنه لم يلمسه وقت العشاء.
مازحه أحد رفاقه، " ماذا، هل تفتقد مأمأة حبيبك." يضحك الجميع
إلا روبرت الذي بدا حزينا حقاً. صار الموقف مدعاة لارتجال أبو
بكر أغنية أخرى عن الجدي. هذه المرة عن حب روبرت المتأخر
للجدي، وأسفه وندمه على الوقت الذي ضاع في الهجر بدلاً من
مبادلة الحب. يستمر الضحك والصخب فترة ثم تهدأ الجلبة. يأتي
عمار، وهو الدليل الرئيسي للرحلة وأكبرهم سناً، بزجاجة عرق
بلح ويمررها على الجميع الذين يبتهجون بها قدر ابتهاجهم بالجدي
المشوي. ثم يطلب أن يحكي كل شخص قصة طريفة. يبدأ أبو
بكر بقصة الجدي وروبرت، فينفجر الضحك مجدداً. ثم تحكي
عين عن سلحفاة جدتها التي هربت منها، ووجدها ابن الجيران بعد
أسبوعين في حي مجاور مع صبية يُحكّمون صبياً أبكم على
سعرها. تحكي اليزابث عن البقرة المقدسة في الهند وكيف كان
الهنود يوقفون المرور بخشوع من أجل أن تمر البقرة الكريمة.
يحكي جورج عن حب مايكل للاستعراض أمام الفتيات الى درجة

الطيران بدراجته من على مرتفعات ليسقط مكسور القلب والساق،
ويبرهن على كلامه بحطام الدراجة التي لا يزال محتفظا بها في
بطن سيارته. يذكر فريدريك حفريات النانو التي كان يقرقشها
جون ويسأله إن كان قد تبقى منها شيء ليقدمها لجمهور
المستمعين. " لا لا شكرا." ترد الفتاة الأمريكية نيابة عن
مجموعتها وتضيف ضاحكة، " نعرفها جيدا، عشنا عليها فترة."
تستمر الحكايات الطريفة إلى الدورة السابعة لزجاجة العرق.

ثم يبدأ البوح بقصص العشق والهجر.
يُقلب عمار الحطب ويضيف قطعاً أخرى حتى لا تخدم النار.
وحين يحل الصمت على المكان يمسك بنايه ويترجم القصص
لموسيقى شجية تميل معها الرؤوس. ثم يتكلم...

ألم يقل حكماء القبيلة: إن العاطفة المقدسة تصير دنسا إذا
انتهت إلى قران؟ ألم يقولوا أيضا: إن العلاقة المحمومة تنقلب
كراهية إذا انتهت إلى التحام؟ أم أن السر كامن في طبيعة الحب
الذي يتبدد ويزول إذا لم يستطع أن يبدد موضوع الحب، إذا لم
يبدد المحب والمحبوب معا؟ فهل من طبيعته أن يزول إذا لم يزل
الإنسان بسببه؟ نعم. انه يفضل أن يموت بسبب الإنسان إذا لم يجد
الإنسان في نفسه الشجاعة كي يموت بسببه. إذا لم نضح بأنفسنا،
ضحى هو بنفسه لأجلنا. كأنه يصر أن يتخلى عنا عندما يدرك أننا
أعجز من أن نتخلى عنه. أعجز من أن نهب أنفسنا قربانا له لأن
أنانيتنا، لأن حبنا للحياة، أو ما نظن أنه حياة، يجعلنا جناء أمام

التضحية، أمام التخلي، أمام الموت، فيستيقظ فينا الحرص الأول،
ونتخيل أننا نستطيع أن نستولي على الحب، على مادة الحب، على
المخلوق المرئي وظله الخفي، على الحسنة وعلى عصفور النور
الخفي الذي وهبنا الحسنة، وننسى أن للحب وجهاً آخر، للحب
وجهين إذا حضر أحدهما غاب الآخر، وجهاً للحب قرينان
متضادان يحدق أولهما في الوجود، ويصلي ثانيهما للخلود. ونحن
نتكرر لهما، نتكرر للعاطفة المقدسة، عندما ننسى الناموس الذي
يقول: إن على من أراد الخلود أن يتخلى عن الوجود، عندما ننسى
أن الحب لا يبد أن يتخلى عنا إذا لم نتخل عنه، عندما ننسى أن
الحب لا يصير حبا، لا يسمّى حبا، إذا لم يكتمل فيه شرط التخلي
عن مادة الحب، عن موضوع الحب، عن المحبوب. ونحن لا
نستطيع أن نتفوق على أنفسنا، ونقهر تعلقنا بوهم نعتقد أنه حياة،
ما لم نتذكر أن العشق كالإله، سلطان مكابر لا يقبل أن يشاركه
في الوجود كائن آخر. (*)

ينهي عمار حكمة القبيلة بعزف آخر على الناي. يصل أينيه
إلى السماء، إلى القمر الذي يطل عليهم من فوق ويرتد إلى
مسامعهم فتهتز قلوبهم، ويرتجع وجيب خفي في رمال الصحراء.
تأمل عين كلمات البدوي التي لامست قلبها، وجعلتها تنفصل
عن المجموعة وتذهب إلى شجرة قريبة لتبكي في الخفاء. الحب

(*) إبراهيم الكوني، فتنة الزؤان

شرطه التخلي، وهي قد تخلت. ألم تقل لعلّي أنها تفضل الحب على العلاقة؟ ألم تقل له أنها تخشى على الحب من علاقتهما المشوهة؟ هو أيضا تخلى. لكنه لم يتخل من المنطق نفسه. هو يريد زواجا تقليديا. لأنه لا يقوى على الحب. لكنه تخلى عنك، عن موضوع الحب. إذن هو يحبك. أعلم. إذن ما المشكلة؟ لا أعرف. لم تبكين؟ لا أعرف.

تنام عين في مكانها. وتحلم بامرأة مربوطة بحبل في غصن شجرة. يشتد الحبل على رقبة المرأة، لكنها تقاومه. ومع كل شدة، تتشقلب المرأة، وتتأرجح للأمام وللخلف. ملامح وجهها تتقلص وتنبسط مع الحركة المتأرجحة. تشاهد عين الحلم بعين مفتوحة إلى أن يسكن جسد المرأة. مع الثقل، ينكسر الغصن ويتحرر الجسد... يطلق الجمع المحتشد صرخة. هناك امرأة أخرى... لا تعرف عين هل تغلق عينها أم تفتحها. كل ما تعرفه أنها لا تريد متابعة هذا الحلم البشع. تأمر الحلم بأن يتوقف. وتخرج منه وهي ترتجف.

تفتح عينها بحذر. تجد نفسها تحت ذات الشجرة التي رأتها في الحلم، وبجانبها الغصن المكسور. تصرخ عين. وتضع كفيها على عينها. ثم تجري بعيدا وهي تبكي إلى أن تتعب من الجري فتتوقف لاهثة. تستلقي على الرمال. ثم تقوم بتدريبات التنفس التي تعلمتها مع فريديك وهي تتابع شروق الشمس إلى أن ينتظم تنفسها وتهدأ نفسها.

تعود إلى المجموعة التي استيقظت يعاني معظمها من الشعور بالتعب والصداع الناتج عن شرب العرق.

بعد تناول الغداء في أحد المطاعم الصغيرة بالكفرة، يتوجه الجميع إلى مكتب اتصالات. المكتب صغير لا يوجد به سوى كابيتي هاتف والاتصالات الدولية تمر بصعوبة. لكنهم يقفون في الطابور. وحين يجيء دور عين تطلب مكالمتين للقاهرة. تطمئن على جدتها وتوصي السيدة التي تراعيها مجددا. ثم تطلب مكالمة ثالثة وتتردد. الواقفون في الطابور يحثونها على الإسراع. تلغي المكالمة الثالثة وتخرج من الصف. ثم تعود ثانية. وعندما يحين دورها تعطي الموظف الرقم. تتعالى ضربات قلبها وهي تنتظر إتمام الاتصال إلى أن تسمع الجرس.

" ألو... ألو.."

تحاول عين أن ترد. لا يخرج منها أي صوت. يتدخل الموظف في الخط ويقول لها، " رُدِّي يا ست. " تسمع صوته ثانية، " ألو ... ألو.. " ثم صوت إغلاق الخط. يسألها الموظف لماذا لم ترد. " معلى والنبي، أطلب الرقم مرة أخرى. " يتذمر الواقفون.

" ألو.."

" ازيك يا علي؟"

" أهلااااااااااا. انت فين؟"

لا تريد إخباره أين هي، وتسأله إن كان مبسوطا فيرد بنعم. تعيد السؤال، فتسمع ضحكته، " إيه مش مفروض أكون مبسوط.."

تجن من الغضب، وتتفجر فيه، " انت اتغيرت". ينفي. ويسألها أين هي. تضع السماعة وتخرج من الكابينة وهي تسبه وتلعنه. يستوقفها الموظف، " الحساب يا ست". تدفع وتغادر دون أن تنظر إلى أي جهة.

يلحق بها أبو بكر. تأمره أن يتركها لحالها وهي تبكي. لكنه لا يفعل. ويخبرها أن لا يصح أن تتحرك بمفردها في مكان غريب. ثم يسألها ما المشكلة. لا ترد. فيمازحها وقد استشف أن الموضوع يتعلق برجل، " إذا زوجك أخذ امرأة أخرى، ولا يهتمك، أنا أتزوجك." لا تجيبه. فيضيف، " وسأعطيك مئة ناقة مهرا." تبسم عين. " هيا هيا... سنذهب إلى بحيرة قريبة قبل أن نودع الكفرة."

يعودان، إلى القافلة التي تتحرك نحو بحيرة على أطراف الواحة. تعطيهما جينا رواية ساحر الصحراء. " قرأتها، ولا أصدق ما بها. كذب وخيال مريض." وترد إليها الكتاب.

تسبح بمفردها. يملؤها الغضب. الكره. الحزن. ولا تعرف ماذا تفعل. لا تريد العودة إلى القاهرة وفي نفس الوقت لا تعرف جدوى هذه الرحلة. تشعر برغبة قوية في التلاشي. تسبح إلى نهاية البحيرة بطاقة دفع سلبية. ثم تُفاجأ لدى عودتها من الضفة الأخرى بشيء غريب.

تتألف حول نفسها. تنفث بداخلها. لا تجده. تُشرح قلبها. لا شيء. تقزع. أين ذهب الغضب والكره والحزن؟ أين ذهب الحب؟

قلبها فارغ من المشاعر. لا حب. لا كره. كيف؟ هل كان وهما؟
ألم أحب هذا الرجل؟ تسأل نفسها. الإجابة غير موجودة لا بالنفسي
ولا بالإيجاب. كيف؟ ثم تذكرت شيئا. تذكرت أنها قالت له يوما
أنها تستطيع إغاءه من تاريخها، وتجعله كأن لم يكن. إذن هناك
شخص اسمه علي. تتذكر لكن التذكر لا يستدعي أية مشاعر. تهز
رأسها تعجبا.

تعود إلى المجموعة بروح نائهة، وتسأل أين هي. يذكرونها
بأنها في الكفرة وأنهم يستعدون للتوجه جنوبا إلى جبال تبستي.
تتذكر عين. وسينفصل الأمريكان ويمضون جنوبا إلى تشاد.
ويستمرون هم غربا إلى الغات.

في مدخل واحة صغيرة على مشارف تبستي، تُقابل القافلة بطلقات نارية وصبية مبتهجة تردد كلمات لا يتبينوها. يتضاحك أفراد القافلة فيما بينهم إذ لم يسبق الاحتفاء بهم بهذه الطريقة. يعتقد أبو بكر بأن الواحة تحتفل بعرس، وبأن المجموعة ستكون محظوظة إذا حضرت الحفل حيث تقام الولائم وتضرب الدفوف لثلاثة أيام.

مع دخول الواحة، يصير الكلام واضحاً لأذن من يفهم العربية. البدو الثلاثة وعين لا يصدقون ما تصله أذنه، وتبدو دهشة غير عادية على ملامح وجوههم. يوقف أبو بكر أحد الصبية ويسأله ما هذا الخبر. يؤكد الولد صحة الخبر ويردده باقي الصبية من خلفه.

"أمريكا انضربت.."

باقي المجموعة يلتقط كلمة أمريكا، لكنهم لا يفهمون الموضوع. يسأل واحد من الأمريكان "ما الخبر؟". والأطفال يرددون "أمريكا انضربت". بمشاعر متناقضة يترجم أبو بكر الخبر. لكن لا أحد يصدق. يذهبون إلى مقهى امتلاً عن آخره برجال وشباب يهتفون "الله أكبر" أمام شاشة تلفاز ينهار من خلالها برجان مشتعلان. "أمريكا انضربت". يردد الأطفال والكبار. "أمريكا في حالة حرب" تعلن الشاشة.

ما بين زهول وصدمة وفرحة معلنة ومستترة، يقرر الأمريكان قطع رحلتهم والعودة إلى بلادهم.

للصحراء قدرة لا تمتلكها المدن. ما بدأ يتعاضد في شوارع
المدن وأزقتها، نفضته الصحراء عنها وبعثرته رياحها حتى
تلاشى أثره.

في الغات، تزور عين ومجموعتها كهوفا ومغارات جبلية
امتألت جدرانها وأسقفها بحياة قديمة. رجال ونساء وحيوانات
ظهروا من العصر المطير. تتلمسهم عين وتتمنى لو كانت بينهم.
تقرر المجموعة أن تواصل رحلتها إلى النيجر وصولا إلى
العمق الأفريقي. يسأل جورج عين إذا ما كانت تحب مواصلة
الرحلة معهم. لا تعرف. تسأله متى سيغادرون. صباح الغد. "
سأفكر وأرد عليك في الصباح."

تغريها فكرة العمق الأفريقي. لكن شيئا ما يشدها لمواصلة
الرحلة غربا. ربما تصل إلى المحيط الذي لم تره من قبل. لكن ما
يشدها ليس المحيط بل الصحراء. تعرف أن ما ينتظرها غربا هو
كهوف الطاسيلي ورسومها التي لا تختلف عن كهوف الغات،
ومنحوتات الهجار الصخرية. ومع ذلك سيكون أمر آخر. هكذا
تقرر أنها ستمضي غربا إلى أن يكون ذلك الأمر المبهم.

في الصباح، تتبادل عين والمجموعة العناوين وأرقام الهواتف
ووعود برحلة صحراوية أخرى في العام المقبل. ستقتدهم. لكنها
لن تفي بوعودها.

لحسن الحظ، تتعرف عين على مجموعة أخرى. فرنسيون من هواة السفر الى الأماكن الخطرة كما يخبرها منظم الرحلة. لا يحدث تفاعل حقيقي بينها وبين هؤلاء الفرنسيين، خاصة منظم الرحلة الذي بدا مغرورا بدرجة لم يحتملها أحد، حتى أفراد مجموعته. لكنه لا يمانع في أن تنضم عين الى المجموعة عندما يعرف أنها أيضا ستتوجه غربا، على أن تساهم في تكاليف الرحلة.

يستعين بيير منظم الرحلة بدليل من الطوارق سبق له التعامل معه. ورغم أن بيير يعرف المنطقة جيدا إلا أنه يريد إضفاء الروح المحلية على الرحلة كي تبدو أكثر مصداقية أمام مجموعته المتنافرة. التتبكتي، الدليل الطرقي، ملثم بعمامة طولها اثنا عشر مترا ولا يري منه سوى عينين رماديتين. كلامه قليل وصوته منخفض. لكن مع مرور الوقت، سيصبح التتبكتي دليل عين الشخصي. وفي كهوف الطاسيلي، سيخبرها أن مركز العالم هنا، وأن أصل الحضارة المصرية من هنا. وأنه بعد انقطاع المطر في زمن بعيد، هاجر سكان الطاسيلي الى الشرق واستقروا بوادي النيل. ربما.

تسأله أن يكشف وجهه. يرفض

ما بين الكهوف وحياتها السابقة، والصحراء بكتبانها وأعمدتها الصخرية ومنحوتاتها الحجرية تشعر عين بأنها تقترب من نهاية رحلتها. تغفو بأحد الكهوف. يعطيها صياد مفتاح الحياة وبقرة. تفتح عينيها وتبتسم. البقرة أمامها على الجدار. تسترجع صورة الصياد وتقارنها بالرسم المنحوت. يشبهه. تقول لنفسها. وتشعر به يعود. تشعر به يملؤها. بسلاسة وهدوء مثلما ذهب عنها. تنتبه عين لما يحدث لها. عاد إليها الحب. عاد إليها صافيا تماما، خالصا من كل شوائبه. منزها عما سواه.

تخرج من الكهف. التبتكتي ينتظرها. يقرأ عينيها.

"تمت رحلتي."

"أعلم."

تجلس على صخرة حجرية وسط الصحراء. تجسد الوضع المثالي للانتظار. جلسة ممنون على مقعده الحجري بالبر الغربي. من غروب الشمس حتى شروقها. اثنا عشرة ساعة تنتظر انتظارا مطلقا. لا تتأمل النجوم، لا تفكر بشيء، ولا تبحث عن شيء تقضي به الوقت. فقط تنتظر ميعادها بهدوء.

في الصباح تقوم من جلستها وتحزم أغراضها. يوصلها التبتكتي الى مطار تمنغست. وهناك يهديها رداء طريقيا، ويكشف لها وجهه. تتطلع إليه طويلا. ساحر الصحراء. تودعه من دون عناق.

في مطار هوارى بو مدين، وأمام شبك الجوازات، تعود عين إلى الواقع الجغرافي عندما يقلب الموظف صفحات جواز سفرها عدة مرات. بحيرة ونفاد صبر يسألها الموظف عن تأشيرة الدخول. تدرك عين لأول مرة أنها عبرت الحدود الجغرافية المرسومة فقط على الخرائط، وأنها الآن في مطار دولة أخرى لم تدخلها بتأشيرة. الموظف يسألها مجدداً، " مدام، من أي نقطة حدود دخلت؟" ترد عين أنها جاءت من الصحراء لكن لم تكن هناك حدود. يسألها الموظف أن تحدد بدقة. تجيب أنها جاءت من الغات إلى الطاسيلي. ينظر إليها الموظف مستغرباً، " لخالك؟" لا. كانت مع مجموعة. يأخذ الموظف الجواز ويحتجزها في غرفة جانبية. تسمع نقاشاً في غرفة مجاورة. ليس لديها تأشيرة دخول، قادمة من مطار تمنغست، تقول أنها جاءت من ليبيا، المصريون لا يحتاجون تأشيرة لدخول ليبيا، نعطيها تأشيرة دخول بتاريخ قديم، نرحلها عن طريق السفارة... عين لا تصدق ما تسمعه. هي كانت في الصحراء. هذا ما تعرفه.

يستدعيها الموظف لمخاطبة رؤوسيه. يسألها الموظف الأعلى رتبة نفس الأسئلة السابقة. فتحكي عين باختصار رحلتها من سيوة إلى تمنغست. يقلب الموظف صفحات الجواز ويتفرج على تأشيرات قديمة لدول أخرى. " أنت تعلمين إذن بضرورة

الحصول على تأشيرة؟" تجيب عين أن نعم، لكنها لم تكن تعلم أنها ستصل إلى الجزائر. يسألها عن وظيفتها. عادة ما ترد على هذا السؤال في نقاط الحدود بسيئاء بإجابة محددة، "ألا تعرف القراءة؟" لكن وهي مهددة بالترحيل تتخلى عن نبرة التحدي، وتتخلى بالأدب، وبكل هدوء ترد، "باحثة اجتماعية بمنظمة دولية." ثم يسألها عن تاريخ وصولها الجزائر. لا تعرف. كم يوما مكثت بالجزائر. لا تعرف. ينظر إليها الموظف وهو في قمة تعجبه. هذه حالة فريدة من نوعها. في النهاية، يمنحها الموظف تأشيرة دخول بتاريخ سابق وهو يحذرها بأن لا يتكرر ذلك، ثم يضيف بمزاح، أنها لو دخلت بدون تأشيرة مرة ثانية سيعضها في السجن بنفسه. تشكره بحرارة وتعد ألا يحدث هذا الأمر ثانية.

من صالة المطار الداخلية تتصل بعلي. يأتيها صوته محملا بالدفء وبالقلق. أين هي. في الجزائر. ماذا تفعل. تتعلم الصبر. متى سترجع. الليلة.

"أريدك أن تكون أول من تراه عينا في القاهرة."

أمام صالة الوصول بمطار القاهرة ينتظر علي. تخرج له فرعونة صغيرة في رداء طرقي أبيض. تقف أمامه، وتثبت مكانها بكبرياء أميرة. ينظر علي إليها، مشدوها، بها، بالجنون المتجسد أمامه. ولا يقول سوى، "أنت مجنونة" وهي في حضنه.

3

تقبض السيد على اليد وكأننا لا نريد أن يفلت أحدنا الآخر.
تتصادق روحانا من جديد، ويملؤني اليقين أننا لن نفترق أبدا مهما
حصل.

في الطريق يسألني علي إن كنت قد تعشيت. أومئ رأسي
إيجابا.

" نتعشى ثاني مع بعض؟"

أنتطلع إلى عينيه. وأومئ مرة أخرى.

" إيه؟ انتي تعلمت الصبر أم الصمت؟" يمازحني وهو غير
معتاد على لغة الإشارات خاصة مني.

" تحكي إيه؟"

عيناه تفيضان حبا. لكني أستمتع برغبته الحارة في معرفة
حكاياتي.

ثم أحكي كل شيء.

يتابعني بشغف، ولا يقطع حديثي المسترسل. أتوقف لأري
أثر غيابي عليه، ووقع حديثي، فيستحثني، " زيدي." وهو يهز
رأسه متعجبا.

" لم أفعل يا علي الشيء الذي لا أستطيع أن أحكيه لك."
"كل ده وما عملتيش حاجة!"

نضحك سويا.

ثم أذكره وأذكر نفسي، " أنا سألتك يا علي أستناك، قلت لا"

"صحيح... طيب ايه اللي مش ممكن تعمليه؟"

" أن أنام مع شخص تعرفه.... وأن أدع شخصا يلف ساقه

حول ساقى ويشبك ذراعيه على صدري."

تصدر عنه تهيدة نادرة.

" نمشي؟"

" يللا."

السيارة تتجه ناحية المهندسين. أستوقف علي.

" علي، البيت الناحية الثانية."

" انتي عايزة تروحي لبيتكم؟" سألني باستغراب. فأرد

باستغراب أكبر واستخفاف.

" أمال هبات مع مراتك؟"

يوقف السيارة على جانب الطريق، ويستدير إلي.

" عين، أنا لم أتزوج."

" ايه... ازاي يعني؟"

" أنا متجوزتش. مبتفهميش عربي؟"

" علي، أنا سألتك في التلفون."

" انتي سألتيني اذا كنت مبسوط، قلت لك نعم. وده مش معناه

اني اتجوزت"

لا أصدق ما أسمع، " طب ليه ما قلتش؟"
" انتي ما سألتيش. انتي اتهمتيني اني اتغيرت، وأغلقتي
الخط."

نصل البيت. بيته. بيتنا.
كل شيء مثلما تركته يوم أوصلته إلى المطار ليتزوج. لا أثر
لمرور امرأة أخرى. ولا أجد كلاماً أقوله.
" تزيد نبيذ؟"

أومئ برأسي. وأحتر في ما أفعل. ورغم كل ما حكيت له
أجده طبيعياً معي. ولم يتزوج. ما هذا العيب؟ أتذكر أنني قلت له
مرة أنه لن يتزوجها. لكن بالتأكيد لم يحدث ما تنبأت به نتيجة
قدرات خارقة أملاكها. وقد كفرت بمبدأ إرادتي وإرادة العالم. لكن
ألم تكن رغبتني الخالصة هي ألا أفترق عن علي. نعم، لكني لا
أصدق.

يفتح علي زجاجة نبيذ فاخرة ويتذوقها نيابة عني. ثم يصب
لنا كأسين.

" بتفكري في إيه؟"

" في القدر." " أرد بتهمكم. ثم أسأله السؤال الذي أعرف أنه لن
يجيب عليه بإسهاب. اختلفنا وتأجل الموضوع. إجابة مقتضبة جداً
لا ترضي فضولي، وهو لن يفسر.

و يُغَيِّر الموضوع. وبنظرة ذات مغزي وبمزاح يسألني،
" وساحر الصحراء، هذا الطريقي، عملتي إيه معه؟" أضحك ضحكة

عالية وأرد بنفس نبرة المزاح، " هو الوحيد اللي فشلت معه..لم يعطني أي فرصة". أدعي الشعور بالأسى، " خسارة...فلت مني " يشدني اليه برقة ودلال، " وواحد فينيقي بربري عربي ما ينفعش؟"

أندلل أنا الأخرى وأنا أترجع، " تؤ... راحت عليه " أشعر به يكاد يموت من فرط رغبته في. أنظر في عينيه وأتساعل بيني وبين نفسي، " انت عايز ايه يا علي؟" يقرأ سؤالي خطأ، أو ربما يستهبل، " انتي مش عايزة؟" أجدني أزيد في التددل رغم صحة ما أقول بالنسبة إلي. " لقد تصوّقت. "

" ايه؟" وينفجر في الضحك. وينسكب النبيذ على ملابسنا. كم أحب ضحكته وغمازات خديه والفواصل التي بين أسنانه. يا الله، ماذا أفعل مع هذا الرجل.

" أفسدت ردائي الطرقي يا رجل. " معلش، هجيبلك غيره. " يرد وهو غارق في الضحك. " طيب يعني مش هننام؟" يسألني بعد أن أنهينا زجاجة النبيذ. " أكيد هننام، بس زي الاخوات. "

" زي الاخوات... طيب روحي نامي في الغرفة الأخرى. " لكن الغرفة الأخرى ستنتظر أوقاتا أخرى، وسيجيء وقتها حتما. أما الآن...

أدعه يأكلني كيفما يشاء لكن دون اشتها من جانبي. ذهني يعمل أسرع من استجابة جسدي الحسية. بحبك يا علي، لكني

تَغَيَّرت. وبذلت من نفسي كي أصل إلى هذه الحالة. أن أحبك حبا خالصا وألا أشتيهيك. أشعر بأني أجز إلى العلاقة التي نبذتها. يدرك علي أنني معه ولست معه، فيتوقف. " أنا خائفة. " أهمس كأنما لنفسي. " خائفة من إيه يا عين؟"، " مش عارفة. " وأبكي. تنهمر رغما عني الدموع التي تحجرت يوم سافر. يضمني إليه بطريقة لا أستطيع وصفها. بها كل الحب، كل الدفاء، كل المعزة. " بلاش بكاء، أرجوكي. "

في الصباح، أعود أنا إلى منزلي ويذهب علي إلى عمله على أن نلتقي بالمساء. أجد جدتي لا تزال على كرسيها المفضل كما تركتها. أحكي لها بعضا من رحلتي وأهديها زهرة من زهور الرمال. وأدخل غرفتي لأفكر في ماذا بعد.

لا ألتقي علي في المساء. أهاتفه وأخبره أنني سأسافر إلى سيينا. يسألني عن السبب. لا أجد جوابا مقنعا، فأقول، "كده." لا يلح، ويتمنى لي رحلة آمنة.

لكنني أعرف أن خشيتي من الدخول في دوامة العلاقة هي التي تدفعني للسفر. وهي التي ستجعلني أتعلم الغوص وممارسة الجنس تحت أمطار من الماء. لكن لا شيء يجدي. أبقى أسبوعا في سيينا ثم أغتسل جيدا بماء البحر وأعود برائحة اليود التي يحبها علي.

في المكتب، أحكي له كل شيء.

ظننت أنه سيتضايق، سيغضب، سيبتعد.

لكن ما أحكيه يجعله يرغب في أكثر.

"لكنه لن يتزوجك أبدا بعد ما حكيتي كل هذه الحكايات."

سنقول لي عائشة، صديقتنا المشتركة، والتي تعرفه من سنوات طويلة، وتعرفه جيدا. وسأرد عليها بأنني لا أسعى إلى الزواج به. أنا أحبه فقط. ولن تحبه امرأة مثلما أحبه. "وهو أيضا يحبك، لقد

رأيته وهو ينظر إليك. وأنا أعرف علي من زمان. لم أر هذه النظرة من قبل. وسيتعدّب بحبك يا عين، لأنه لم يتخيل يوماً أنه قد يحب لهذه الدرجة. ولن يقدر على الزواج منك." أعرف. أعرف ذلك جيداً. أعرف أنه أحبني رغماً عنه. وأعرف أنه لن يتزوجني. وأعرف أنني تخليت عن مادة الحب كي أبقى على الحب.

هل أنا أنانية؟ يفاجئني السؤال. هل أنا أستخدم علي كموضوع للحب؟ مادة لرواية؟ بانتهائها ينتهي دور علي كمادة؟ هل هذا التلكؤ في الكتابة نابع من رغبتني في ألا تنتهي أبداً.. كي لا ينتهي الحب. هل أخشى أن ينتهي الحب فعلاً، ولذلك أطبعه حروفاً على الورق. لأستعيده في أوقات فراغي عندما تتقدم بي السن، أم لأقلب الصفحة وأغلق الكتاب نهائياً. أخجل من نفسي. إذ أن مجرد ظهور السؤال على سطح الوعي يعني أن نسبة ولو ضئيلة من التساؤل صحيحة.

أسلم أمري لله. أسلم أمري له. سيكون ما قَدَّرَ له أن يكون.
أعود إلى علي بكاملِي. وتعود علاقتنا أفضل مما كانت بعد
أن تَقَلَّصَ هواجسي وشكوكي. نقضي معظم الوقت معا. أنتهي
من عملي وأمر عليه. أغمم بقراءة الجرائد والكتب إلى أن ينتهي
من عمله. نتعشى معا ثم نذهب إلى البيت. ونتابع
الأخبار. التلفزيون مفتوح طول اليوم في المكتب وطول الليل في
البيت. سنشاهد معا قصف البيوت الطينية وفرار أطفال ونساء
وشيوخ إلى الجبال في أفغانستان. وسنستيقظ فجرا ذات يوم على
صوت القنابل وهي تسقط على بغداد. وستتجر الدموع في عينينا
رثاء لحضارات بلاد ما بين النهرين. وسنتنظر دورنا.
أطلب منه أن يطفى التلفزيون. لم أعد أحتمل. يجيب أن هذا
عمله. سماع الأخبار صار يوترني. وصرت أشعر بالألم في
أذني. أذهب إلى الغرفة الأخرى وأستلقي على الفراش. أحاول
التفكير في شيء مبهج.. أنتظر إلى أن يغفو علي وأخفض صوت
التلفزيون. أنظر إلى ملامح علي. هادئة. وكان الأخبار لا تؤثر
فيه. لقد مرّ بالأسوأ. هكذا قال لي ذات مرة. أستلقي بجانبه. يشعر
بي، ويمد ذراعه كي أتوسدها، ويلف ذراعه الأخرى على
صدري. توترني يزول شيئا فشيئا. هنا أريد أن أكون. بين هذين
الذراعين أريد أن أبقى. العمر كله. وما بعده.

أحلم أنني أنجب منه طفلة في نهاية العام. برج الجدي مثل أبيها. أحملها بين ذراعي.. أحتار ماذا أسميها. تنطق الطفلة. اسمي وردة.

أخبر علي بالحلم. يستمع دون أن يقول شيئاً.
" أريد بنتاً منك يا علي. أريد أن أحكي لها عن حبي لك."
لا يُعلق. أرى لمعة في عينيه. وأرى التردد على كل ملامح وجهه. وبعد صمت يقول، " لا تعقدي الأمور يا عين." ويجعلني أعدة ألا أفعل هذا الأمر من وراء ظهره.

أريد طفلةً منه. لكنني لن أقدر أبداً على خداعه كما تفعل أخريات، وأضعه أمام الأمر الواقع. لا أعرف من الأناني فينا. لكنني أعرف أنني إن فعلت ذلك رغماً عنه، سأفقده. سأفقد حبه واحترامه إلى الأبد.
أقمع رغبتني.

لكنها تطفو من حين لآخر. وفي أوقات الصفاء أسأله، " ألم يحسن السوقت بعد لطفل؟" يضحك مرة، ويتهرب مرات. أثور. وأهدده بأنني سأجعله يشرب حتى الثمالة، ثم أخذه إلى المأذون وأتزوج، وأفعل ما أشاء. يغضب، ويقرر بحزم أنه لن يشرب معي مرة أخرى. وينسحب إلى الغرفة الأخرى.

أعاقبه بالبعد. ولا أعرف إن كنت أعاقبه أم أعاقب نفسي. ثم
ألوم نفسي وأذكرها أنها المحب وهو المحبوب. أنها الساعي وهو
المسعى إليه. أذكر نفسي بالحب المنزه الذي ملأ قلبي في صحراء
تمنّست.

يسافر في مهمة رسمية لمدة أسبوع. أنتظر عودته بقلب
واجف. أخشى ألا يقبلني من جديد. أعرف أنني أسأت إليه. أستغفر
ربي لأنني لم أراع حقه في علي. وأطلب منه أن يخلصني من
أسر طبيعتي.

أنتظر علي بالمطار والقلق في عيني. يراني فتنبسط ملامحه
وأرى فرحه بانتظاري، رغم أنه لا يحب الوداع أو الانتظار
بالمطار. يأخذني في حضنه بنفس الود والمحبة. فقط عيناه
تعاتبانني، وتترجاني أن أكف عن جلده. لو أكف أنا عن عدم تقّي
به، أو بنفسي...

نقرر الهرب من القاهرة بزحامها وترابها، ومن الأخبار
التعيّسة والنفاق السياسي لنقضي عطلة العيد معا في سيناء.
المسافة طويلة جدا، لكننا نقضيها ونحن نردد مع أم كلثوم مقاطع
من " انت عمري". يتذكر علي فتاة فرنسية بكت وهي تستمع إلى
هذه الأغنية رغم أنها لم تفهم معنى الكلام. كان ذلك في البرتغال.
يسترسل علي في حكي بعض من ذكرياته. يضحك وهو يتذكر
ليلة أن سكر في مدينة ما مع فتاة رائعة الجمال واستيقظ في مدينة
أخرى وبجانبه امرأة بدينة جدا لا يعرفها. أحب حديثه حتى لو
عن نساء أخريات. أستحته لحكاية المزيد، فيحكي عن بعض
رحلاته ومغامراته.

نسبح في البحر، نرش بعض بالماء، نتراهن على السمك
الملون، نغيظ بعض ونتضاحك كالأطفال، نأكل ونشرب،
ونستمتع. الحياة في سيناء لها طعم مختلف. خليط من البدو
والمصريين والأجانب يجعلك تشعر وكأنك في بلد آخر. لكني
أستكثر على نفسي السعادة.

بالمساء نذهب إلى بار. نشرب ونتحدث لساعات. يُعلق علي
على بعض الأمور السيئة الموجودة بسيناء كقلة النظافة،
وعشوائية المباني، ويقارن بين هذا المنتجع وبين مثيله في
المغرب. أوافقه في الرأي رغم أنني لم أذهب إلى ذلك المكان الذي
قصدته في المغرب. نواصل الشرب ونتحدث في أشياء أخرى. ثم

يرن هاتفه. يتحدث بلهجة فأعتقد أن المكالمة من بلده. يستأذن
ويبتعد حتى لا أسمع المكالمة. لماذا يبتعد؟ لا بد أنها خطيبته. إذن
هما على اتصال. لا يغيب علي. أتجاهل الأمر. نستأنف حديثنا
لكنه يستشعر تغيراً ما في فيسألني ما الخبر. لا شيء. يطلب
مزيداً من البيرة. تأتي ساخنة، فيعلق على ذلك بهدوء.

"مش عاجبك، إمشي. مش عاجباك البلد، إمشي" أقول
بانفعال.

علي ينظر إليّ وهو غير مصدق لما يسمعه مني. ولا يقول
شيئاً. نخرج من البار ونذهب الى مطعم. يطلب سمكا ومزيداً من
البيرة. يشرب ولا يأكل. أحده فيرد باقتضاب. وفي الفندق يطلب
أوراقه التي تركها معي، ويترك لي مبلغاً من المال. أنظر إليه
بعدم فهم. "أنا راجع القاهرة بكره، لو حدي."

"ليه؟" أسأله وأنا لا أفهم سر الغضب المكتوم في صوته.
"مش عارفة ليه؟"

أنتبه لنبرة ألم في صوته لا يمكن أن تخطئها أي أذن. أبكي
لألمه دون أن أعرف السبب، وأسأله ثانية "في ايه يا علي؟"
"أنا مش هسمح لنفسني اني أسمع الكلمة دي تاني منك أو من
غيرك."

بذهول أسأل، "كلمة ايه؟"

"إمشي."

رددت الكلمة. "فيها ايه؟"

"الطريقة التي نطقت بها الكلمة."

لا أتذكر كيف نطقت الكلمة. ولا أفهم سر الألم والغضب
الذي يشعر به علي. فأقول له أنني لا أفهم شيئاً.

" أنا بحب مصر، ويمكن أكثر منك. ولن أسمح لأي كان أن يقول لي "إمشي" من هنا"
" مصر... ايه اللي جاب سيرة مصر... ايه اللي دخل مصر في الموضوع؟"
يضع أغراضه بالحقيبة ويدخل الفراش.
" علي، أنا ما قصدت كده... انت فهمتني غلط... أنا غربت.. انت كنت بتكلم خطيبتك."
دون أن يستدير، " أنا ما كنتش بتكلم مع خطيبتي "
" علي أنا آسفة "
يواجهني، " أنا كمان آسف "
وينهي الكلام بتصميم، " رجاء، هذه هي النهاية، ولا أريد أن نلتقي مرة أخرى."
لا الاعتذار يفيد، ولا البكاء. حسم أمره.

هذه المرة
الرفض حاسم، نهائي
و أنا استنفدت مرات الفرص المسموح بها للجنون
آسف
هكذا نطق بقطعية نصل حاد
لا ينفذ معها حوار أو استئناف أو مهمة اعتراض
آسف
هكذا لفظ بعزم جسد يحتضر
انتفض في اللحظات الأخيرة
ليلفظ حمى كادت أن تفنك بخلاياه

لفظني خارج مجاله الحيوي
و غلق ثغراتي التي كنت أتحايل
و أنفذ منها إلي داخله
لفظني كما يلفظ الجسد ما هو طفيلي أو زائد عن الحاجة
و في حالتي ضار
أسف

جمدت في مكاني معطلة
أخرج من الغرفة، وأجلس على الشاطئ المواجه الى أن تطلع
الشمس. أتساءل وأنا أتابع الشروق، وأقول لنفسي، " يوم جديد."
سيغفر لي علي. أعود الى الغرفة وأجده يخلق ذقنه. " صباح
الخير." يرد الصباح دون أن ينظر إلي. " علي، انهارده يوم
جديد." ينتهي من الحلاقة، ويرتدي ملابسه. أغير ملابسي على
عجل.

" لن تأتين معي "

" علي... "

" رجاء بلاش مشاكل "

أتبعه إلى السيارة. أفتح الباب وأجلس.

" عين، رجاء.. لا أريدك معي. "

أظل مكاني.

يوصلني إلى منزلي بعد تسع ساعات متواصلة من البكاء،
والصمت النهائي من جانبه.

أصل به. لا يرد. أرسل له رسائل قصيرة. لا يجيب. أكتب

له خطابا.

حبيبي علي...

لم أقصد أبدا الإساءة إليك، كيف أقصد وأنت حبيب قلبي
والروح التي اقترنت بها روحي. كيف يا علي وأنت النور الذي
يملاً قلبي وينير ظلماتي.

أسأل نفسي.. ربما عدم الخبرة وعدم النضج. هل يشفع لي
أنك أول حب وأول عشرة عشتها بكل نفسي، بكل طاقتي، و بكل
غشم. ربما الخطأ هنا، وربما اليأس.. لا أعرف.. كل ما أعرفه
أنني كنت كالمندوهة، أو ممسوسة إن شئت.. قوة رهيبة، أو عنف
تملكني.. ولم أستطع إيقافه. ولا يعفيني أنني كنت أعرف أنني
مخطئة. أنا لا أبرر تصرفاتي يا علي. أنا أحاول أن أفهم ماذا
حدث.

إحساسي بالذنب يوجع روحي. عقلي يبرر، لكن قلبي لا
يسامحني. أستغفر الله ليل نهار على إساءتي لمخلوقه، وأي
مخلوق أنت... رسول الله إلي، هدية الرب التي لم أعرف كيف
أصونها.

الكتابة لك، وربما لنفسي، هي ملاذي الآن. أغلقت باب
رحمتك في وجهي، ولم أزل أتمنى وأدعو الرب أن تفتح الباب
ثانية. الأمل أفضل من اليأس. ليكن عندي أمل في وصالك من
جديد إن لم يكن اليوم فغدا، وإن لم يكن غدا فبعد غد، وإن لم يكن
في هذه الدنيا ففيما بعد، ربما يكون حينها الوصال صافيا.
عفوك يا رب، عفوك يا علي.

نعم، هناك فرق بين الحب وبين العلاقة. والحب وحده لا يكفي لإنجاح واستمرار العلاقة. ربما لم أفهمك جيدا، لكني لا أعرف الحدس. لست عرافة كما أدعي أحيانا. كيف أعرف ما يغضبك. تزعل مني لأنني أتشاجر معك في البار والبيت والشارع والمكتب. طيب، هذا أمر سيئ. لكني وجدت نفسي أتساءل، أين سأتشاجر معك. سترد، وهل لا بد أن نتشاجر. سأقول، يحدث أن.. يتطلب الأمر الشجار أحيانا.. صحيح أن هذه الأحيان زادت، لكن هل تكون حياة بدون شجار وزعل وعتاب ولقاء...لم لا..

الكل يطالبني بأن أنساك، وأعيش حياتي. أنت حياتي. هم لا يعرفون عمق ارتباطي بك، بروحك. الكل يعتقد أنها علاقة، مثل أي علاقة. لكنها ليست كذلك يا علي، وأنت تعرف. أنت سكني.. منك أطلع وإليك أعود.. أنت سدرة منتهاي..
يا رب خلصني من أسر طبيعتي..

هل يمكن أن ينقطع وصل الروح... لينقطع وصل الجسد.. لكن الروح.. لا يا علي. يا رب بحق جميع مخلوقاتك، بحق الكون كله لا تفرقني عن رسولك.. وأعدك يا رب... أعدك بماذا.. أخشى أن أعد بما لا أستطيع أن أفي به... أعد بأن أحاول أن أغير من طبيعتي.. ساعدني يا رب، ولتغفر لي ما لا أستطيعه، هكذا خلقتني.

أكان ما بيننا وهما

هل ما أو من به كفر

هل حبي لك وحبك لي سراب... حتى لو كان كذلك فأنا

راضية

الحياة قاسية جدا رغم مباحجها الكثيرة. ودون حب حقيقي أو متخيل لا تساوى شيئا.. الحياة بدونك يا علي لا تعنيني في شيء. لنبدأ من جديد يا علي. هناك عهد بيننا. أتذكر؟ مبادلة الحب بالحب والوفاء بالوفاء..

أبتسم وأنا أتذكرك وأنت تفتح فمك لتلقي قطعة شكولاتة لوحت لك بها. أقربها من فمك ثم أسحبها، فتعلق فمك مغتاظا، وتتعالى وتترفع. أقضم نصفها وأضع النصف الآخر في فمك، فتقضم الشكولاتة وشفتي... تعد القهوة لنا، وأفتخر أمام أصدقائي بأنك أنت الذي تعد القهوة والفتور أحيانا إذا شعرنا بالجوع، فيحسدني أصحابي. نجاور بعضنا على الكنية، نرتشف القهوة، وأختلس منك قبلا سريعة.. ثم " يلا عين.. نمشي.. نحتضن بعض.. تقبلني.. ثم نزل.

كنت تمتعض عندما أستبقيك في الفراش بجانبني بعد أن نستيقظ. لا أشبع منك أبدا. " كل شوق يسكن باللقاء لا يعول عليه - ابن عربي " أقول لك " خمس دقائق " وتتساءل أنت عن سر الخمس دقائق اللاتي لن تقدم ولن تؤخر... أن أستيقظ وأنت بجانبني.. رأسي على ذراعك اليمنى، وذراعك الأخرى على كتفي.. أنفاسك في شعري وعنقي... أستاذك إليك يا علي.. ثم انقطعت عن استبقائك جانبي عندما أفصحت. إنها لحظة قد تخضع فيها للنوم ثانية أو تنهض على الفور..
أيها الصبي ذو السنوات الإحدى عشرة..

أين ذراعاك التي كنت تمدهما لتحتويني بينهما على الكنبه،
ونحن نشاهد الأخبار الكئيبة. أسكن إليك وأخبي وجهي في
صدرك وأبكي أحيانا. أعلم انك لا تحب رؤيتي وأنا أبكي، لكن
يحدث أحيانا أن أضعف ولا أداري. ولماذا ندعي القوة ونحن
أضعف ما نكون وفي حاجة لمساندة بعضنا...

أيها الصبي..

أين ذهببت ابسامتك الماكرة التي تكشف عن فواصل أسنانك
التي أعشقها.. أين أطراف أصابعك التي لا أمل من تقبلها.. أين
طرطوفة أنفك التي تهرب من مداعباتي.. أين عينك الصافيتان
الحانيتان والمتعبتان اللتان أسفى عندما أقبلهما..

أنتظر. أتعب أحيانا، لكنني أنتظر.

في العادة أحسسي الخمر كي أتمكن من البكاء بحرارة
أو الإعلان عن موافقي بصراحة قد تكون فجة أحيانا
أو للدخول في حالة ضحك هستيري منقطع

هذه المرة

أشرب كي أكتب بسعادة

كي أملأ الفراغ بالفراغ

دون ملل

أو تساؤل

أو انتظار لشيء يحدث

و لا يحدث.

في صحتك يا علي...

كانت لنا ليال هائلة سكرنا فيها معا واستمتعنا معا... ربما لن نتذكر لي إلا الليالي التي سكرت فيها وتوحشت.. لكن كانت هناك أوقات حلوة أيضا، سعدت بي وسعدت بك.

غلبني الهوى يا علي ولم يغلبك. وإن لم أحب سواك، يكفيني أن عرفت الحب معك وعشته بك.

أتأمل صورتك، تلك التي أحبها ولا تعجبك. بها غضب مكتوم، وكبرياء، وحزن. لم الحزن يا علي. أفضل غضبك الصريح المعلن على هذا الغضب الصامت. الشفتان المضمومتان بقوة تتطرق أني لن أقول شيئا. أنفك الملووح.. أنت لا تصدق أن أنفك ملووح. لتتظر إلى هذه الصورة وسترى. من ناحيتي ملووحة شمال، ومن ناحيتك ملووحة يمين.. لكن عجباني... كل حاجة فيك عجباني ما عدا رجلتيك... خشبتين..

عندما أرى تصرفات الرجال الآخرين، أكتشف أني جاحدة. ليس هناك من هو في كرمك وأخلاقك ونبلك ورقتك... وقسوتك أيضا.

أؤمن بعبارة إن رغب المرء بشدة في شيء وأخلص، يتأمر العالم كله من أجل تحقيقها. لكني أخشى أحيانا أن تكون كلام روايات. لكن هناك أشياء رغبت فيها حقا وتمنيت على الله أن يحققها لي وحدثت، وأنت تعرف ذلك. هل يعطيني ذلك مزيداً من الأمل... كنت سأكتب الألم.. وقد يكونان مترادفين. الأمل الألم. مزيد من الأمل يساوي مزيداً من الألم. الشرب يجعلني أتفلسف أحيانا. لكني لا أريد أن أسكر. لأنني عندما أستيقظ ولا أجدك بجانبني يهبط عليّ حزن العالم كله. أمل بدون ألم إذن.

الخروج من الدائرة عصي، محاولات يائسة تشبه تلك التي تقوم بها القطط في مآهات معامل علم النفس بكليات التربية. أحلم بامرأة حبلى تسأل عن الطلق. اكتمل الحمل. فهل ستفتح الدائرة وأولد من جديد.

نهاتفني عائشة وتلومني على تصرفاتي مع علي. ثم تبشرني بخبر تمنيته من كل قلبي. خطيبة علي فسخت الخطوبة. لا أصدق أذني لكني أفرح كثيرا. تقول لي هذه فرصتك، لكن علي أن أتوقف عن الشجار معه، وأن أصبر إلى أن يهاتفني هو.

لكني لا أصبر. أتصل به مرارا. لا يرد.

يا رب لم تعذبني بحبي... لماذا كلما اتبعت قلبي بكيث. تخيلت الأمل مجسدا أمامي وفرحت. أعرف مشكلتي. أنا أرفض تصديق الواقع وأصدق أوهامي أنا. أرى من العلامات ما يتوافق مع رغباتي، وأكذب الإشارات الأصدق.

أستيقظ من النوم شبه محمومة. أفتح عيني، تتساقط علي أفكار الليلة الماضية. أستعيد الهلع والألم مرة أخرى، وتنزل دموعي دون إرادتي. أرثي لحالي وأشفق على نفسي. ولا أعرف كيف أخرج من هذا الشرك. أسأل نفسي لماذا أبكي، أنهض من النوم أبكي، أذهب للفراش فأبكي.. هل هو الضعف أم الخوف أم الوحدة أم اليأس.

ما يحزنني حقا أني أعرف أنك أحببتني وأعطيتني من نفسك ما استطعت. لكن كيف تظن أني أقصد الإساءة إليك؟ .. أنا أتدهور.

عفوا حبيبي...

لم أعد أهتم الآن. تجيء أو لا تجيء. أشيخ بوجهي لجهة أخرى عندما أفكر بك. أرفضك بداخلي. أفتقدك أحيانا لكني أراجع نفسي قبل أن أخضع لضعفي، لك. ضعفي مرادف لك. سعيدة أنا بهذه القوة الجديدة. حبات وردية صغيرة منعت دموعي من الانهيار كسيل أحرق لا يعرف ما يدفع أمامه. الحبة الأولى أخذتها بعد ثلاث زجاجات بيرة. وجلست أتابع مفعولها وهو يسري بداخلي. أبدأ التفكير، فترفض نفسي التفكير بك، وأشيخ بوجهي بعيدا عنك. أشعر بموقفي وهو يتغير تجاهك. موقف سلبي ايجابي. وفي الصباح أفتنع أنني أفضل، وأخذ حبة أخرى. أشعر بتقل وحزن. في منتصف اليوم أجدني أبكي مجددا. ما الذي حدث. أخذ حبة أخرى. يتزايد الحزن ويتفاقم الألم في روحي.

أتصل بصديق، طبيب مختص. ينصحنى بدواء آخر. حبات وردية أخرى مثلثة الشكل. أبدأ في تناولها وأشعر بتحسن. أشعر بأنني قوية، بأنني لا آبه لشيء. سأعيش. أفتقدك، نعم. أفتقد الحديد معك، نعم. لكنني قوية. لا أفكر كثيرا في الاحتمالات. أضع الأسوأ أمامي، ثم أتخيل إمكانيات جديدة ستتاح أمامي. الحياة مليئة بالمفاجآت. سأنتظر المفاجآت. لم يعد الحزن يتقل علي. أحن إلى الاتصال بك، لكن نفسي ترفض. لا أريد تعريض نفسي للألم مرة أخرى..

سأذهب إلى سيناء، وهناك سأبدأ من جديد. حياتي التي أعرفها وأعرف كيف أتعامل معها، حتى لو لم تعد هي ما أريد

بالضبط. لم أكن لك، ولن أكون لأحد. مثلك. لم تكن لي ولن تكون لأحد سواك. هل ما أقوله من تأثير تلك الحبات.. سأعرف عندما أتوقف عن تناولها.

فيروز تعني، " زعلي طول أنا وياك، وسنون بقيت أجرب فيهم أنا أنساك، وما قدرت أنساك." أبتمس لنفسي... سنين !! ليس في العمر سنون يا حبيبي كي نجرّب فيها أن ننسى..

أستيقظ ظهر اليوم التالي بشعور مغاير. هل فقدت الحبات مفعولها. يملؤني حنين جارف إليك يا علي. أجدني أخاطبك بكلمات الود القديم، وهو ليس بقديم. وحشتني يا علي... يا إلهي.. هل سأصاب بانتكاسة..

تفاجئتني جدتي وأنا أبكي، وتسالني عن السبب. أخبرها بما حدث. تحكي لي قصة مشابهة. بعد شهر من زواجها، كانت تتذمر من بعض الأمور التي لم تعتدها في روسيا، ومن بعض التحكم من جدي. وفي إحدى المرات، قال لها جدي، "مش عاجبك العيشة هنا، ارجعي بلدك." تحكي أنها غضبت من كلامه وخاصمته أياما إلى أن اعتذر لها وقال أنه لم يقصد. أقول لها أن أسابيع قد مرت وأن علي لا يرد على مكالماتي. تتصحنى بالصبر إلى أن يهدأ. ثم تذهب إلى غرفتها لتنام. بعد قليل تتاديني وتذهلني بإحدى أفكارها التي لا تخطر على البال.

" بخريه... يمكن اتحسدتو "

رغم كآبتي، أضحك وأنا أهز رأسي تعجبا.

" يا نينة، أنا لا أو من بالحسد "

" بقولك بخريه... مش هتخسري حاجة "

" أبخره ازاي بس وهو ما بيردش علي؟ "

" روجي له المكتب "

" خايفة يقفل الباب لما يشوفني "

" لو بيحبك، مش هيعمل كدة "

أحمل تردي ومبخرة وبضع زجاجات بيرة، والحبات

الوردية (احتياطي)، وأذهب إلى علي قبل أن ينتهي عمله.

يفتح الباب ويفاجأ بي. لا يقول شيئاً. يترك الباب مفتوحاً
ويدخل إلى مكتبه. أدخل وراءه، يجلس أمام شاشة الكمبيوتر، ينقر
لوحة التحكم. أجلس بهدوء، وأفكر كيف أبدأ الكلام.
يبدأ هو. يترك الكمبيوتر ويستدير إليّ.
" نعم؟ "

أتلأ في الكلام وهو ينظر إليّ من دون أي تعبير.
أستجمع شجاعتي، وأخرج المبخرة من حقيبتني.
" أنا جيت أبخرك "

ضحكة صفراء ترفع زاوية فمه اليسرى.
" انت اتحسدت يا علي. "

هذه المرة يضحك بجد.

" على إيه ان شاء الله؟ "

أتجراً، " علي "

" إيه؟ " بنبرة ساخرة.

" أصحابك حسدوك على حبي لك "

أشعل البخور وأرقبه وأنا أُلّف حوله. رقيتك واسترقيتك من
كل عين شافتك ولا صليتش عالنبى، رقيتك واسترقيتك م اللي
بيغير منك ويحسدك على حبي..

يتركني أرقبه ولا يُعلق.

" طيب، تشرب بيرة؟ "

ينظر إليّ من عل، " أنا مش هشرب معك مرة أخرى "

أخرج البيرة من حقيبتني، وأقول له بمسكنة، " ماشي، اشرب لوحدك... لو جالك قلب."

يتهدد كمن لا حيلة له، ويذهب إلى المطبخ، ويحضر كوبين. أحمد الله في سري. وأنتظر مفعول البيرة. أجلس عند ركبتيه وأعتذر بإخلاص. ثم أعطيه الجواب الذي كتبتّه.

يقرؤه ببطء. ثم يضعه في درج المكتب وهو يهز رأسه بشيء من الأسف. يلين.

" بلاش الحبوب المهدئة يا عين، مش كويسة."

" عارفة، بس ما كانش عندي حل ثاني."

" أنا كمان، ما كنتش كويس.."

لا أقول شيئاً. قلت في الجواب ما فيه الكفاية.

نذهب إلى الماريوت لتناول العشاء.. نحتسي مزيداً من البيرة، ونشاهد عرضاً فنياً. أنتبه إلى امرأة تجالس رجلاً إلى طاولة بجوارنا. ملابسها كاشفة بدرجة مبالغ فيها، كذلك ماكياجها وزينتها، وحديثها المبتذل الذي يصل بعضها منه إلى أذني. ألفت انتباه علي إليها.

" أنت تريد امرأة مثل هذه"

" هل هذا رأيك في؟"

" لأ!!!!!!.. بهزر معاك."

نعود إلى البيت معاً. وفي الطريق أمازحه، " كنت أظن أنك رجل مختلف. فأتضح أنك مثل كل الرجال، رجل يريد امرأة حلوة الملامح، ضاحكة الوجه، ذكية في حدود أن تفهمه. امرأة تسمع الكلام، لا تناقش، لا تتذمر، خرساء إن أمكن. امرأة لا تغضب، لا تبكي، ولا تضحك بدون سبب. ولا تمرض. باختصار، امرأة آلية."

" بالضبط كده. والحمد لله أنك عرفت اني مثل باقي الرجال."

تهدأ نفسي قليلا. أتبع نصيحة جدتي بألا أتح على رؤية علي.
أكتفي بالمكالمات التلفونية. وأقوم جنوني، إلى أن يدعوني إلى
العشاء. أتزين وأرتدي فستانا ورديا قصيرا وحذاء كعبه عالي.
أمر عليه بالمكتب. يفتح الباب بود ورغبة في لقائي من جديد.
جدتي التي تعدت التسعين عاما عندها حق.

نحدث في أمور عدة، وقبل أن ننزل يفتح علي درج مكتبه
ويخرج منه مبلغا كبيرا من المال. يمد يده بالمال إلي.

أسأله بمرح، " ايه ده... مكافأة نهاية الخدمة؟"

يضحك ويقول، " حاجة زي كدة."

ثم ينظر إلي بحب، ويقول، " كنت عايز أشتري لك هدية، لكن
لم أعرف ماذا أشتري، اشتريها انتي."

أشعر بالخجل وبالحرص.

دون أن أشير الى موضوع خطيبته، أمازحه، " بس يا علي
انت هتسافر وتتجوز، وأنا هروح أتفصح بالفلوس واصاحب واحد
تاني."

ينظر إلي نظرة من يعرف أنني أعرف، ولا يعلق علي
موضوع جواز، ويمارحني في الجزء الثاني، " وماله.. انبسطي "

" أبوة بس حاسة انه ما يصحش يعني أعرف واحد تاني علي
حسابك... مش شيء أخلاقي أوي.."

يضحك وهو يربت على كتفي،
" لا ما يهكميش... بس صاحبي انتى واحد تاني "
" كدة... يعني عايز تخلص مني؟ "
" أه.. "

نضحك، ونحتضن بعضنا. أقبل الهدية وأضعها بحقيبتى. ثم
ننزل لتناول العشاء متشابكي الأيدي.

أحكى لجدتي التطورات وأنا أقبلها. أرى لمعة في عينيها
المفتوحتين دائماً، لمعة حب وشقاوة الفناة التي كانتها جدتي في
يوم من الأيام. أشكرها على حكمتها التسعينية. تكررنا ثانية، أن
أصبر على شوقي وأنتظر إلى أن يطلبنى هو. فأنتظر على أحر
من الجمر كما يقول المثل.

يتصل علي. ورغم قدرته العالية في التحكم في مشاعره، إلا
أن شوقه لي يفلت من لسانه بلغته. يدعوني للعشاء. أخبر جدتي.
تضحك وربما غمزت بعينيها. " لا تضايقيه. خليكي مؤدبة"، تقول
بنبرة ودودة وأمرة في الوقت نفسه. " حاضر يا نينة." ثم تهمهم
بالروسية، " هي الحالة رجعت تاني... " أحتضنها وأنا أضحك.
وأنزل.

أذهب إلى المطعم مباشرة. المكان مزدحم للغاية. أبحث عن
علي، أجده إلى طاولة صغيرة وسط العديد من الطاولات التي
ازدحمت برواد نهاية الأسبوع. أجلس بجواره وأشاركه كأسه إلى
أن يأتي النادل بطلبي. أرى اللهفة في عيني علي، فازهو. يسألني
عن سر تغيري. لا أستطيع إخفاء شيء عن علي. أحبره بنصيحة

جدتي. يضحك طويلا، ويدي إعجابه بذكائها. يسألني إن كانت حلوة. " يا علي دي فوق التسعين سنة." " وماله... مش ست." نضحك معا.

مع زجاجة البيرة الثالثة، تشتد رغبتني في دخول الحمام التي أوجلهما قدر استطاعتي حتى لا أبتعد عن علي ولو للحظات. الطبيعة تأمر في النهاية فأستأذن علي. الحمام مشغول. وهناك طابور. أقف في الصف.

أعود بعد دقائق وأقول لعلني أن الحمام كان مزدحما. ينظر إلي نظرة غريبة. أستغرب، فيسألني بنبرة جافة، " أعطيتيه رقم تلفونك." أنظر إليه باستفهام، " هو مين ده؟" يشير بهدوء إلى رجل بدين وأصلع يجلس قبالتنا لكن إلى طاولة مجاورة، ولازدحام المكان، يبدو وكأنه جالس معنا. لا أصدق ما يقوله علي وأعلق ساخرة، " أنا أبص لده." وأعتبر الموضوع منتهيا، لكن علي يستمر في الموضوع، " انتي ابتسمتي له." فأرد " أيوة ابتسمت له لأنه جالس أمامي، تقريبا معنا.. عادي يعني." ثم أسأله بجديّة ما الموضوع، فيجيب أن هذا الشخص اتبعني إلى الحمام ثم عاد يحكي لرفاقه أنه كلمني وأخذ رقم تلفوني. أنفي، وأنا أنظر لهذا الرجل الذي ابتعد قليلا عن طاولتنا، " محصلش." ثم أمازح علي، " ما كنتش أعرف انك بتغير." " أنا مبيغيرش. لكن أنا بحترم نفسي، وإذا عايزة تمشي معه، اتفضلي."

أفاجأ بكلامه وبتفكيره.

" علي، انت بتتكلم جد واللا بتهزر؟"

" أنا بتكلم جد. "
" وأنا قلنتك الكلام ده محصلش. انت ازاي تفكر إني ممكن
أعمل كده. "

" يعني هو بيألف؟ "
" أنا ما يهمنيش هو، أنا يهمني ازاي انت تشك فيّ أنا.. أنا..
وانت عارف إني ما بشوفش غيرك، حتى لو أمامي ألف رجل. "
لا يقول شيئاً. أنظر بغضب إلى ذلك الرجل، " الله يخرب
بيته. " ثم أمازح علي، " بزمتك ده منظر أفكر حتى أكلمه. "
يأتي النادل بالعشاء. نأكل في صمت. يسألني إن كنت أرغب
في المزيد من البيرة. أسأله إن كان يحب هو. يطلب من النادل
زجاجتين ستلا والحساب.

في البيت، يبدل ملابسه في صمت. أتودد إليه وأبدأ في
مداعبته، فيبتعد عني، ويشير بيده أن لا أقربه. أحتار ماذا أفعل،
ولم كل هذا.

" في ايه يا علي؟ "

" انت عارفة "

" علي، انت قصدك الموضوع بتاع البار؟ "

" عين، أنا ماحبش حد يعمل حاجة من وراء ظهري. "

" علي، أنا مش قادرة أصدق انك بتكلم جد. "

أقترب منه، فيبعدني.

" علي، انت اتجننت.. ازاي تشك فيّ.. علي، دي اهانة لي "

" أنا ما أهنتكيش يا عين "

" لأ أهنتني... وأنا ما اقبلش الاهانة دي."
" انتي حرة"
" وانت قليل الأدب وسافل"
" أنا مش قليل الأدب، ومش سافل"
أترك البيت.

في الصباح الباكر، أذهب إلى مكتبه. يفتح لي الباب، ويرحب
باقتضاب. لا أدخل. أورد له هديته من على الباب. يفتح فمه ليقول
شيئا، لا أعطيه فرصة للكلام وأنزل.

أذهب إلى سيناء. أتمدد على شاطئ مهجور وأخذ حمام
شمس. تتصل بي عائشة وتخبرني أنني جرحت علي جرحا شديدا
عندما رددت إليه هديته، وتخبرني أن خطيبته فعلت نفس الشيء ،
وعندما حاولت أن تعود ثانية إلى علي، رفض وأنهى الموضوع.
أخبرها بما حدث، تفهم وجهة نظري، لكنها تعتب علي أنني
شتمته. أنا أيضا عاتبة على نفسي. لم أستم علي من قبل، لكنه
أهانني، ويجب أن يفهم ذلك.

بعد أيام، أتصل به. نتعاتب.

أعود إلى القاهرة . إلى مكتبه، برائحة البحر وملحه على
جسدي البرونزي. يستقبلني بنظرة عاتبة. يفتح درج المكتب
ويخرج الهدية، ويناولها لي.

" نفس المبلغ... ما فيش زيادة.."

" ما تستاهليش."

نذهب لتناول العشاء في مكان هادئ. ثم نذهب إلى البيت
مبكرا. غدا يسافر إلى بلده. أجازته السنوية.

يسافر علي. وأتساءل أنا إلى متى سيتحملني، وإلى أي مدى.
لا أودعه بالمطار ولا أستقبله. يفاجئني قبل انتهاء عطلة
السنوية بأسبوع بعودته إلى القاهرة. لا يخبرني عن سبب قطع
أجازته، وأنا لا ألح. يستأنف عمله بالقاهرة وأبقى معه هذا
الأسبوع بالبيت.

يخرج صباحا بعد أن نشرب القهوة معا. يتصل بي من
المكتب بعد انتهاء العمل ويسألني ان كنت أحتاج أي شيء
ليحضره معه. أمضي اليوم أرتب البيت، أنقل طرق تحضير
أكلات مختلفة من الانترنت. وأتعلّم الطهي في علي. يبدي اعجابه
بالأكل ويشكرني. ثم يقول بمرح، " بس بكرة نطلب أكل من برة."
أضحك وأنا أسأله، " انت عايز تقول ان الأكل وحش." يسرع
بالنفي، "لا لا أنا ما قلتش كدة، بس ما فيش داعي تتعبي نفسك"..
في البيت، يراني علي في جميع حالاتي، متربة، مشعثة الشعر،
متعبة، وحلوة في نهاية المطاف.

مشهد متأخر جدا. أقول لنفسي. كان ينبغي أن أعيش مع علي
في البيت لفترات متواصلة منذ البداية.

رغم أنني أتعامل مع البيت باعتباره بيتي، إلا أنني لم أستطع
بعد هذه السنوات أن أجد البقعة التي أستطيع أن أقول أنها المكان
الخاص بي في البيت. رغم وجود ثلاث غرف وثلاث صالات،

أبحث في كل ركن عن مكان يخصني، فلا أجد سوى الكنبه التي
نجلس عليها أنا وعلي. أفتقد عشوائية غرفتي بمنزلي، كتبي
وأشياءني الخاصة، وعروسة صغيرة مهترئة منذ أيام طفولتي.
أحب البيت لأن علي يسكن فيه، لكنه ليس بيت علي أيضا. بيته
هناك. في بلده.

نخرج أحيانا ونتعشى مع بعض الأصدقاء. ثم نعود الى البيت
ونشرب نبيذا.

و في أحد المساءات، بعد أن أنهينا زجاجة نبيذ وصرنا أكثر
رقة، تمددت في حضن علي، وسألته، " علي مش هسيبني أبدا؟"
جاوبني بحب شديد وبصوت لا أعرف كيف أصف جماله، " أنا
عمري ما هقولك لأ أبدا. انتي ما تعرفيش انتي ملأت حياتي قد
ايه."

" صحيح يا علي؟"

" يعني انتي مش عارفة؟ مش عارفة انك استحوذت علي؟"

" طب ولو اتجوزت؟"

لا يرد على السؤال ويقول شيئا أجمل من أي إجابة محتملة
على سؤال افتراضي.

" قد تكون العلاقة المؤقتة أكثر حقيقية من أي زواج."

"طيب، ليه هتجوز؟"

" أنا ما قولتش اني هتجوز، ولو اتجوزت، ما قولتش اني

هحب مرة ثانية."

" علي أنا مستعدة أسبب كل حاجة هنا وأجي أعيش معك."

" صعب يا عين، صعب."

يضمني أكثر إلى صدره، ويشبك ذراعيه حولي. وننام على الكنبه. متلاحمين.

لا نلتقي لأسابيع. اجتماعات تحضيرية، مؤتمر قمة عربية، ونحن في القاع تماما، قمم طارئة، وكأننا نفاجا بالأحداث التي نشارك في صنعها. ومع كل هذه الطوارئ تحط الضيوف الطارئة على بيت علي. عبث سياسي متواصل. نتواصل عبر الهاتف، لكني لا أشبع. أريد أن أراه، أن ألمسه، أن أستشقه. يعتذر.

في الأوقات الصعبة والأزمات الكبرى، حين لا يكون باستطاعتنا فعل شيء سوى الرثاء، ربما أن نكون معا يصبح فعلا إيجابيا، أن أكون معه يطمئنني، أن يكون معي لا يعني الكثير، فالأزمات أكبر منا ويصبح وجودنا معا- من وجهة نظره- عبئا إضافيا!

و الأوقات الصعبة والأزمات الكبرى تزداد يوما بعد يوم.
ماذا بوسعي أن أفعل؟

صرت أتمنى لقاءه وأتخيل رفضه كي تخفت رغبتني ولا يفاجئني الإحباط ومع كل الاستعدادات النفسية للدفاع عندما يرفض رغبتني لا شيء من تلك الاحتياطات يفيد وتبدأ نوبة اكتئاب أخرى.

يدعونني علي إلى العشاء. يأتي برفقة السيد بشير، صديقه ورئيسه في العمل، وعائشة. أثناء العشاء، تتشاجر عائشة والسيد بشير وينتهي الأمر ببكاء عائشة، وهي نادرا ما تبكي. قصة حب شائكة تنمو على المرارة. يحاول علي تهدئة عائشة، إلا أنها تترك الطاولة وتغادر المطعم. الجو المتوتر يفزعني عادة، خاصة إذا تعلق الأمر بالمشاعر. رغم رغبتني في البقاء مع علي، إلا أنني أفكر أنه ربما من الأفضل أن أغادر أنا الأخرى وأتركه مع صديقه. لكن علي يستبقيني إلى أن تغادر جميعا إلى بيته. أفاجا. فعلي لا يأخذني إلى بيته أبدا في وجود ضيوف. أفرح.

في البيت، نحتمس مزيدا من الويسكي. وأنتظر أن يأتي الويسكي بمفعول ايجابي ثم أعاتب صديق علي لأنه أبكى عائشة. المفعول سلبي. يغضب ويسبنا جميعا بطريقة بدت لي هزلية. رغم دهشتي لرد فعل السيد بشير، إلا أنني أضحك للطريقة التي سبنا بها، وعلي أيضا يضحك. يخرج السيد بشير من الغرفة، ويعود بزجاجة أخرى. أدير شريط موسيقى كلاسيكية لتهدئة الجو. أترك السيد لشأنه وكأسه، وأجلس على ساق علي وأدلل عليه. أعاتبه لغيابه عني، فيعتذر بضرورات العمل والظروف. أهدده بنبرة مازحة بأنني سأتركه وأعرف غيره، فيرد بهدوء وبما بدا لي لامبالاة، بأنني حرة. في ثانية واحدة، وربما أقل، أنتفض من علي

ساقه وألغنه هو والحب والعلاقة. يصدر السيد صوتا. أنتبه إلى وجوده. أنظر إلى علي. أدرك فداحة ما فعلت. لن يسامحني علي أبدا. " علي أنا آ..." لا تخرج كلمة أسفة من فمي. صارت كلمة بلا معنى. يتركنا السيد بشير ويذهب إلى غرفته. أري الغضب والندم في عيني علي، لكنه لا يتفوه بكلمة. يسحب الغطاء عليه ويغلق عينيه. أقف معلقة لدقائق لا أعرف ماذا أفعل. ثم تقودني قدماي إلى الغرفة الأخرى.

لم يبد حماسا غير متوقع
حين اقترحت قضاء أمسية الغد معه بعد انفصال دام أسابيع.
" ستنامين في الغرفة الأخرى.."
أكره اللقاءات المشروطة.
سكت.

" أنا واضح." قال.

" ليس تماما"

" بل أنا واضح تماما"

" على السطح فقط"

صمت..

انقطع الكلام على وعد بقاء..

لقاء غير محسوم. يزداد خوفي. سيكون لقاء متوترا.

أراجع بيني وبين نفسي. أتخيل ردود أفعال مختلفة تنتهي

كلها نفس النهاية. بكاء، خصام، قطيعة وتوتر لا ينتهي.

أظل الليل كله أحاول تخيل إمكانية واحدة مضيئة.

تهتز تقتي برؤيتي.. ربما هو مصيب..

ربما من الأفضل ألا نلتقي ثانية..

هو عائد إلى بلده، إلى حياته التي لم يكن لي وجود بها

ولن يكون. هكذا حسم. لكن قلبي يحدثني بأن الحسم غير

نهائي. لم أعد متأكدة من شيء سوى أنه الرجل الذي سأعشقه في

كل مرة أقابله، فينصحنني بالأأ أقابله. أكتشف أنني أحب أن أحبه. أحشى اللقاء فأفكر في الاعتذار.

ربما يتساءل لم وقد كنت مصرة وربما يتنفس الصعداء ويشكر تقديري للموقف وربما كان سيعتذر هو بانشغاله فأشكر له إعفائي من تكرار محاولة غير مضمونة العواقب. لا يعجبني ترددي.

أقرر الذهاب إلى الموعد وليحدث ما يحدث. لكنني لا أحب أن أكون متقلة بكل هذه "الربمات".

أريد لقاءه لأحبه وأدلل عليه
أريد أن نظرب سويا ل "رق الحبيب"
أريد أن أأف نفسي في ملاءة قصيرة وأرقص له
رقصة كارمن الشهيرة... له وحده....
يتقل قلبي، وتتكثف الهواجس.
أشرب فنجانا من القهوة في الصباح
أقلب الفنجان وأأمل علاماته.
مغلق.

أهاتفه. يرد صوت مغلق.

تتقلص أشياء بداخلي.

" إذا جننت سنشرب قهوة وتذهبين إلى بيتك "
أصمت.

ينتظر ردي..

أعتذر عن اللقاء.

ثم نلتقي .
نجلس لساعات طوال في نفس المكان
نشرب بيرة و ننفث دخانا
ننظر في كل الاتجاهات إلا اتجاهنا
أراه دون أن أراه
يراني دون أن يراني
نتقابل دون أن نتواصل
أشقى بألمي
أسأله هل سنفترق
لا ينفي و لا يؤكد
أستطرق عينيه
مستغلة
أطلب ورقة و قلمنا من النادل و أكتب
" أولى بهذا القلب أن يخفق "
أمرها له
يقرأها ببطء ثم يطويها بعناية
و يضعها في جيب قميصه .
نستأنف الصمت .

تدعوننا عائشة لحفل عيد ميلادها. أذهب من بيتي، وعلي يأتي من بيته. وفي الحفل نلتقي بالعديد من الأصدقاء المشتركين، وآخرين لا أعرفهم أنا. ومن بين نساء الحفل العديداً، أنفر من واحدة بعينها، من بلد علي. نحافتها زائدة، حركاتها ميكانيكية، خطواتها محسوبة، ضحكاتنا منمقة. مسلحة بكل أسلحة الصيد الأنثوية، وفي حالة تأهب محسوب للانقضاض على الفريسة. مانيكان ملونة في فاترينة عرض، زينها صاحب المحل ببضائع شتى، غير متناسقة، لكن لها سعر. ألمحها تحاول الرقص، لكنها تبدو وكأنها تقفز كضفدعة.

رغم البهجة التي سيطرت على المكان، ينقبض صدري. يستولي عليّ شعور مبهم بأن هناك شيئاً ما يدور حولي، من وراء ظهري. أنغلق على نفسي في دائرة رقصي. أرقص كالمحمومة على لحن لا يسمعه غيري دون توقف. سكرانة، جائعة، نهماة، ومنهكة. يطلب مني علي أن أتوقف عن الرقص. لا أتوقف. يذهب الجميع إلى البوفيه، وأظل أنا في دائرتي المحمومة. يأتيني بطبق عليه أصناف شهية من الطعام. أهز رأسي نفياً، وأنظر في عينيه، "في حاجة غلط يا علي... في حاجة غلط بتحصل." "عين، انت سكرتي، كلي حاجة." أرفض الأكل وأظل أرقص حتى الصباح، إلى أن تغادر تلك المرأة الحفل، ويخلو المكان إلا

من علي وعائشة التي دخلت غرفتها لتنام. علي يحاول الاقتراب
مني. أبتعد وأنا أترنح، لكنني لا أسقط.

يسألني ماذا أصابني.

أصابني العشق.

لم أحبك، عشقتك

و أنت لا تعرف العشق

العشق متطلب، ولا يكفي

كيف الوصول إلى المعشوق

لا وصول

هناك محاولات ومحاولات

وصل لكن دونما وصول

العشق هو محاولة التوحد مع المعشوق

مع الله، مع الذات العليا

من وصل إلى الله. لا أحد

أنت ذاتي العليا

من يصلك، من يحاول الوصول إليك

أنا

أنا معشوقتك التي تحاول، ولا تريد

إذ بمجرد الوصول انتهى العشق

أنت منتهاي، بالطريق

و يجب أن يكون الطريق وعر

و إلا فلم المحاولة

لكن الله لا يهرب من العشق
الله لا يهرب من المعشوق
الله كلم موسى، وأرى الطريق لمحمد
و أوصله لسدرة المنتهى.

أستيقظ في بيت علي. ذراعه تمتد على بطني.
لا أشعر بذنب، أو ألم، أو خوف من فقدانه. أشعر براحة
عميقة تتبع من داخلي. وأفكر في نفسي. لم يعد يهمني غضبه، أو
زعله، أو قراره بالألا يراني مجددا. أنا التي تهمني. أشعر بهدوء لم
أشعر به من قبل. لم أعد أحتاجه. أكتفي بذاتي.
ألتفت إليه وهو نائم. لم يعد رجلي. صار شخصا غريبا علي.
أرفع ذراعه بحرص، وأنهض.
أمشي.

على ضوء كشاف صغير تقرأ عين كتاب الفراشة لهنري شاربيير طوال الطريق إلى جنوب سيناء. هذا هو السلوك البشري عاريا تماما تحت ميكروسكوب السجن. الجريمة كامنة في النفس البشرية. هكذا تخلص عين بعد أن تنتهي من قراءة الكتاب الذي أغرمت به رغم بشاعة بغض المشاهد. لكنها بطريقة ما تتفهم عالم الإجرام، بل تجده أكثر إمتاعا وإغراء من عالم القيم والأخلاق الحميدة، والسلوك الراقى المصطنع. تغفو وهي تتأمل سلوك هؤلاء الخارجين عن نواميس المجتمع. تحلم بمولد القمر الجديد وتبتسم وهي غافية في حلمها. تقيق من الحلم فجرا وهي في مدخل دهب. يستقبلها هواء البحر حاملا رائحة اليود التي تعشقها. تنظر إلى السماء، ولا تصدق عينها. لقد حلمت به للتو. الهلال الوليد. ترسل له قبلة مع ريح البحر. تتفاعل ببدايات جديدة. وتنتظر مفاجآت الحياة.

تذهب إلى مخيم قمر الصحراء المواجه للبحر وتسجل بياناتها. تضع أغراضها في الخيمة وتغير ملابسها. تفكر بأن مياه البحر ما تزال دافئة. تسبح باتجاه الشرق إلى أن تتقابل مع الشمس

الصاعدة على مهل من خلف الجبال المطلّة على البحر من الضفة الأخرى. ترحب بالشمس وتصلي لها على طريقته الخاصة. تعود إلى خيمتها، وتستلقي على الفراش الأرضي. تستدعي لحظة ميلاد القمر التي حضرتها في المنام وتحتضنها إلى أن تنام. تستيقظ بعد الظهر جائعة. تطلب الغذاء من أحد العاملين بالمخيم وتجلس على الشاطئ. مركب صغير يأتي من البحر ويرسو أمامها. يقفز شخصان، أحدهما بدوي، والآخر أجنبي شعره طويل جدا، بني ومنتوج. كل من يراه يشهق من فرط وسامته. تتسمّر عين في مكانها. يقترب منها الشاب بسمكة كبيرة، " عايزة سمك؟" ترد كالنومة، " لا شكرا."

يختفي الشاب ولا يظهر إلا وعين تنتهي من طعامها. يحط على مائدتها كصقر جائع بدون استئذان. " عايزة المتبقي من الطعام؟" تهز رأسها نفيا. لوهلة اعتقدت أنه ربما يعمل بالمخيم وسيرفع الأطباق عن المائدة، لكنه يجلس ويأتي على ما تبقي في الأطباق بنهم. ثم " شكرا." وينصرف. تتابعه عين باستغراب وهو يبتعد. تسأل مدير المخيم، " من هذا؟" يرد ضاحكا، " هذا أبو اللو، من كورسيكا." ويضيف، " هو غريب شوية بس طيب ومش مؤذي." تسأله هل يقيم في المخيم، يومئ المدير برأسه، ويضيف، " لكن ليس له خيمة، ينام على البحر." تسأله عين وقد زاد فضولها، " وماذا يعمل هذا الكورسيكي؟" يهز المدير كتفيه ويقول أنه لا يعرف له عملا محددًا، لكنه يقوم أحيانا بتصليح سبابة الحمامات مقابل الأكل والنوم.

في المساء تذهب إلى بار قريب برفقة بعض الصديقات. تلمح الكورسيكي بالقرب من المشرب، وتتجاهله. تجلس مع صديقاتها إلى طاولة قريبة منه، وتتابعه خلسة. هو أيضا يتجاهلها عن عمد، لكن عيناه على طاولتها. بعد قليل تذهب إلى المشرب وتتحدث مع السنادل الذي تعرفه من قبل. وقبل أن تعود إلى طاولتها، يستوقفها الكورسيكي، " ممكن أطلب منك خدمة؟" ممكن، ترد عليه وهي تهز كتفها. " قولي للفنأة الطويلة التي تجلس معك أنني الرجل الذي تبحث عنه منذ خلقت." تنظر عين إليه وتقول لنفسها هذا الرجل مجنون. لكنها تبلغ الرسالة إلى صديقتها. " قولي له أنه أقبح رجل رأيته في حياتي، وأنه يثير الغثيان." تعود عين إلى الكورسيكي، يسألها ماذا قالت صديقتها. قالت أنها مرتبطة، وتبتسم له. تدعوه إلى زجاجة بييرة لكنه يرفض ويغادر البار. تعود عين إلى صديقاتها ويتحدثن عن هذا الغريب. تحكي لهن ما فعل معها أثناء تناولها الغداء. يحكين لها أنهن يشاهدنه أحيانا وهو يسرح بالماعز ويلتقط التمر الساقط من النخيل على الشاطئ. ولا أحد يعرف عنه شيئا تقريبا. لكنه وسيم جدا، تقول عين وهي ساهمة. تضحك الصديقات وهن يقرأن لمعة المغامرة في عيني عين. ويسألنها ما الخطة. تجيب عين بجدية أنها لا تعرف بعد، فهو نوع جديد عليها. عليها أن تفكر جيدا قبل أن تتحرك. لكنها فرحة أن صديقتها ليست معجبة به على الإطلاق. إذ لا تحب عين أن تدخل في منافسة مع صديقتها من أجل رجل. الرجال خنازير، لا يستحقون التنافس عليهم. هذا رأي الصديقات منذ سنوات. لكن

عين كانت تقول لهم أن علي مختلف، وأنه رجل محترم. كن
يضحكن عليها، " لنرى إلى متى سيظل هذا رأيك فيه." برغم كل
شيء، لا تزال عين تقدّر علي وتحترمه.

تعود عين إلى المخيم بعد انقضاء سهرتها. تتعثر في
الكورسيكي ملتحفا منامة مهترئة في مدخل المخيم. يستيقظ
مذعورا، " مش تبصي تحت رجلك." تشيط عين من وقاحته، " في
حد ينام في المدخل والدنيا عتمة، انت مجنون." يبدأ شجار في
الليل المتأخر لا ينهيه إلا تدخل مدير المخيم الذي يطلب من
الكورسيكي إما أن ينام على الشاطئ أو يستأجر خيمة. يللم
الكورسيكي منامته القديمة ويجرر نفسه إلى الشاطئ، وهو
يبرطم بلغته الكورسيكية التي لا يفهما أحد وإن كانت ألفاظ
السباب التي تميزها الأذن في أي لغة واضحة.

تدخل عين إلى خيمتها وتغلقها جيدا. تنام وابتسامة عريضة
جدا على وجهها. بدأت المغامرة.

قبل غروب اليوم التالي، يظهر الكورسيكي بشعره الطويل المتموج. عين تتابع الغروب وتنتظر أن يبادر أبو لولو بالتحدث إليها. لا يخيب ظنها. يذهب إليها على الشاطئ ويطلب منها قبول دعوته للعشاء. تضحك عين ضحكة ساخرة، " كيف ستدعوني وأنت تشحت الطعام من الزبائن." يرمقها بنظرة حادة، " هذا ليس شأنك." ترفض دعوته بتعال. يمشي، ويعود في اليوم التالي في نفس الوقت، ويكرر دعوته، وترفض عين. في اليوم الثالث، تقبل دعوته شرط أن تدفع حسابها، لا يمانع. تسأله أي ساعة، يقول الآن. تنتظر إلى هيئته، " هل ستذهب بهذا الشورت والشبشب البلاستيك؟" ينظر إلى نفسه ولا يرى غرابة في شكله، " لم لا.. بالإضافة، لا أملك غيرهما." باحثة اجتماعية تخرج مع متسول! يذهبان إلى مطعم على الشاطئ. يرحب به الجميع " ازيك يا كورسيكي." تطلب عين سمكا، ويطلب هو دجاجا. " أحب أن أصطاد السمك، لكني لا أحب أن آكله." يقول دون أن تطلب منه عين تفسيراً، فتجاهل تعليقه. يأكلان في صمت. ثم تدفع عين حسابها، والكورسيكي يشكر صاحب المطعم على حسن ضيافته. تكاد عين أن تنفجر من فرط الفضول، لكنها تدرب نفسها على التحكم في تصرفاتها. في الطريق إلى البار الذي تقابلا فيه منذ ثلاث ليال، يبدي الكورسيكي إعجابه باستقلاليتها، فتبدي عين

استغرابها من استهباله. يدّعي الغضب، ويصيح، " هل تعتقدين أنني آكل وأشرب ببلاش.. بالطبع لا. أنا أشتغل وأقدم خدمات." تأمره عين بأن يخفض صوته. يصلان إلى البار ويطلبان زجاجتي بييرة. ثم يشرح لها مرضه. " أعتقد أنه مرض نفسي، أصابني منذ عامين. لا أستطيع أن أمسك نقودا في يدي، أو أحملها في جيبتي. لا أستطيع التعامل بالمال. لذلك أقوم بأعمال مختلفة وأتناول أجري في صورة أكل وشرب ومكان أنام به. وعندني صديق يضع لي باقي مستحقاتي في باطن سمكة قرش مجففة." عين تستمع باندهار تحاول إخفائه عن عيني أبوللو الحادثين.

يسألها فجأة عن شغلها، فتد بأنها باحثة اجتماعية متفرغة، أي أنها تقوم بأبحاث ميدانية عندما تطلب منها أي جهة أو منظمة ذلك. يسألها وما البحث الذي تعمل عليه الآن، فتجيب بأنها حاليا ليس لديها موضوع معين، وإن كانت تفكر بعالم الجريمة. هنا يصيح الكورسيكي بفرحة وهو يفتح ذراعيه. " لا أصدق حظي، كنت أشعر أنني سأجد من يدرس حالتي." تنظر عين إليه باستفهام. " سأحكي لك شيئا لم أحكه لأحد هنا. أشعر أنني أستطيع أن أتق بك."

و يبدأ في سرد تاريخه وتاريخ عائلته الإجرامي حتى الصباح.

ينحبس الهواء في صدر عين وهي تستمع لحكايات عن تجارة مخدرات، ودعارة، وقتل، عن أجداد وأبناء وأحفاد عاشوا في السجون أو ولدوا بها. تسأل نفسها ماذا تفعل مع هذا المجرم.

يذهب إلى الحمام، فينطلق الهواء المحبوس في صدرها لأمتار. تفكر أن تغادر بسرعة قبل أن يعود، لكن شيئاً ما يبقيها جالسة في مكانها. تعرف بعقلها أن هذا الشخص قد يكون خطراً. مش قد يكون، ده أكيد. تقول لنفسها. تعرف بحاستها الخاصة أنها منجذبة إليه انجذاب الحديد إلى المغناطيس. تقرر الهرب سريعاً، لكنها لا تتحرك. ويعود الكورسيكي إلى الطاولة بزجاجتي بيرة.

يسألها أبوللو عن تفسيرها الاجتماعي لهذا التاريخ. تقول عين أنها اعتقدت في الأول أنه يخلق حكايات، فاقت خرافية بعضها حد الخيال. لكنها عادت وفكرت بأن لا أحد يفخر بهذه الكمية والكيفية من الإجرام. تسكت قليلاً ثم تضيف بصوت منخفض وكأنها تحدث نفسها، " ده جين وراثي، فيروس في العائلة." ودون أية مقدمات تقبله في فمه.

يندهش. لكنه يبدو ممتناً لها. قبلته ولم تنفر من تاريخه. قبلته كما هو. لم تحكم عليه أو تحاكمه.

كان الوقت فجرا عندما سألتها أين تحب أن تشاهد طلوع الشمس. أشارت بيدها إلى منطقة قبر البنت على البحر. يتمشيان على الشاطئ بضعة كيلومترات، وفي الطريق تتأبط ذراعه فينفر من جانبها وكأن عقرب لدغته. " لا تمسكيني من ذراعي هكذا، تذكريني بالسجن." تعتذر. لم تقصد. تتردد ثم تسأله كيف كان السجن. فيخبرها بمرح أن الثلاث سنوات الأولى كانت ممتعة حيث كان السجن ممثلا بأصدقائه من تجار المخدرات الكولومبيين الأثرياء. حشيش وخمر وعزف على الجيتار ورقص. السبع سنوات التالية كانت سبعا عجافا. تفرق الأصدقاء في سجون مختلفة. حاول الهرب عدة مرات وفشل، وزادت مدة عقوبته.

يصلان إلى منطقة الغطس النائية. يخلعان ملابسهما ويسبحان في البحر على ضوء هلال كبير يترك السماء لشمس تستعد للشروق. ثم يستلقيان على الرمل ويتطلعان إلى السماء. بهدوء يقبلها على بطنها ثم يرفعها قليلا لتكون في وضع السجود. تتركه عين يحركها ويعدل من وضعها كيفما يشاء. يدخل عضوه في مؤخرتها تدريجيا وبمهارة جعلتها لا تشعر بأي ألم. ثم بدأ يتلوى بداخلها، يضغط ويمتد ويضغط. شعرت عين بمتعة غير عادية لم تشعر بها من قبل، إلى أن لامس نقطة ما بداخلها وبدأ يزيد ضغطه، فانفلتت منها " آه " بصوت بدا لها صوت شخص آخر.

حاولت عين أن تتجاهل تلك النقطة وترکز في المتعة فقط. يزيد ضغطه وتمدده في عمقها بهدوء، ويلامس نقطتها مرة بعد المرة فتصرخ فيه، "توقف" لكنه يستمر، فتأمره ثانية أن يتوقف. يواصل ضغطه فتدفعه عنها بقوة غريبة عليها. "ماذا حدث؟ هل أمتك؟" يسألها عندما يراها تحاول كتم صوتها وعيناها مشدوهتان أو ربما فرعتان.

عندما نظرت إليه رأيت الشيطان الذي بداخلها في عينيه. ورأى هو الفزع في عينيها. وأدركت بحدسها أن هذا هو الرجل الذي يمكن أن يقتلها. لم ترد على سؤاله ولم يلح هو. سارا صامتتين إلى أن وصلا المخيم. دخلت عين خيمتها وأغلقتها جيدا دون أن تقول أية كلمة للكورسيكي الذي وقف حائرا لا يدري ماذا يفعل في تلك الساعة المبكرة من الصباح.

تضع الوسادة على فمها وتطلق جزءا آخر من ألمها بهدوء. هذا الكورسيكي جاوز منطقة ألمها وعبر حدودها. ألم تاريخي ورثته من حيوات سابقة، تعيش به وينمو بها. لا تعلم مصدره بالضبط، لكنها تعرف أنه ملتصق بروحها. وتعرف أيضا أنه مرتبط بعلي. طوال علاقتها بعلي لم تشعر أبدا بهذا الألم. وكأنه داواها منه دون أن تدرك وجوده. لعلي أسلمت روحها راضية ولم تخف أبدا. أما هذا الكورسيكي فسيقبض على روحها يوما ما إذا غفت عن نفسها. تريد أن تتصل بعلي. تريد أن تحتمي به. لكنها

لا تعرف ماذا ستقول له. لا تعرف كيف سيستقبل اتصالها. تطلب رقمه وتغلق الخط قبل أن يتم الاتصال ويرى رقمها. تبكي عين. وتخاف من نفسها لأنها تعرف أنها تخاف من الكورسيكي وترغبه. ولن تقوى على الابتعاد في كل مرة تلملم أغراضها لتهرب.

يختفي أبولو لمدة أسبوع.. تشغل عين نفسها بالتعرف على عادات بدو سيناء ومحاولة كتابة خطة بحث. لكن ذهنها مشتت وعيناها تتجولان بحثا عن ذلك الكورسيكي. تتمنى عين أن يختفي إلى الأبد. لكنها في قرارة نفسها تنتظر ظهوره المباغت الذي يحرك زوابع من الإثارة والدهشة.

تجلس على الشاطئ وكتاب بجانبها. تلمح شعر أبوللو يتطاير في عرض البحر. تشعر بشيء يسقط في معدتها ورغما عنها تكتم نفسها، تمسك الكتاب وتتصنع القراءة. يرسو القارب قبالتها ويصيح الكورسيكي بطريقته الاستعراضية، " هيا، سأأخذك إلى مكان جميل اكتشفته أمس." يحدثها وكأنه يستأنف حوارا انقطع من خمس دقائق. تدعي أنها مشغولة. " أنت كاذبة، أنت تنتظريني منذ أسبوع. هيا." كيف عرف. يقرأ رغبتها وحيرتها. " هيا، سيكتمل القمر اليوم، لا تضيعي الوقت." تنهض من مكانها. يقفز إلى القارب ويمد لها يده. تصعد. تجد مرآة كبيرة وحقبة ظهر ومعلبات. تسأل أبوللو عن المرأة، " ستعرفين فيما بعد." ينطلق القارب رغم الريح المعاكسة. يعود المرح إلى عين مع رذاذ الموج الذي يبيلها. تقف على مقدمة القارب وتفرد ذراعها لتلقي الموج. يقف أبوللو خلفها ويفتح هو الآخر ذراعيه ويعلن، " تيتانيك." تضحك عين ضحكة عالية ثم تقول، " أنا لا أريد أن

أغرق في البحر ويلتهم السمك جسدي." يقبلها الكورسيكي، " لا تخافي، لن تكوني بمفردك، سنكون معا." وهذا بالضبط ما يريها. أن يكونا معا.

يصلان إلى شاطئ صخري وبيت مهجور كانت عين قد سمعت عنه من قبل. بضع أشجار من النخيل تظلل بقعة من الأرض الحصوية. يسألها أبولو إن كانت رأت المنزل سابقا. تهز رأسها نفيا. البيت به أشباح أصحابه. لا يستطيع أحد شراءه أو بيعه أو هدمه وإعادة بنائه، حتى الحكومة. لا يعرف أحد بالضبط تاريخه، لكن الكثيرون يرددون حكايات الأشخاص الذين حاولوا الاستيلاء على البيت. " هل ترين هذا الحائط الحجري المتهدم؟" يشير أبولو إلى حائط شرقي. تنتظر عين باتجاه الحائط. " الرجل الذي حاول تكسير الحجر أصيب بالشلل المفاجئ. والرجل الذي أراد أن يسكن بالبيت دون إذن من أشباح أصحاب البيت أصابته أمراض عديدة لم يعرف لها سبب سوى غضب الأشباح." تشعر عين بالإثارة والقلق، وتسال أبولو لم أتى بها إلى هذا المكان الموحش. " لقد نمت هنا بالأمس، وزارني شبح صاحب البيت وطلب مني أن أجد المفتاح المفقود. عندئذ سيكون البيت لي." يا سلام!! لكن أبواب البيت مفتوحة، ما الحاجة إلى المفتاح. من يجد المفتاح يصبح صاحب البيت بمباركة الأشباح، ولن يضايقه أحد. يشرح لها الكورسيكي وهما يتجولان بالبيت الحجري المطل على البحر مباشرة.

تتمدد عين في لباس البحر على البقعة المظلمة وتتخيل نفسها وهي تبحث بهمة عن المفتاح وهي تتصبب عرقا إلى أن تجده على بعد أمتار تحت الأرض. هذا المكان سيصبح لها. يأتي الكورسيكي بالمرأة وحقيبته والمعلبات من القارب، ثم يرش عليها ماء البحر لتفريق من تخيلاتها التي أدرك مضمونها، " البيت لي، وليس لك." ترد عليه من وسط الحجرة المظلمة على البحر التي قررت أنها ستكون غرفة نومها، " البيت لمن سيجد المفتاح." يخرج زجاجة ويسكي مصري صغيرة من جيب حقيبته. يأخذ رشفة كبيرة ويناول الزجاجة إلى عين. ويستلقي بجانبها.

تنتظر أن يداعبها. لا يفعل. فتداعبه بأطراف أصابعها فيزيح يدها بعنف. تنزعج عين. " هل هذا ما تريدين؟ مداعبات ثم جنس ثم أورجازم؟ أنا أعطيك شيئا أفضل." تنتهد عين وهي تعرف أنه محق. هو يأخذها إلى أبعد من النشوة العادية. يأخذها إلى الألم ويحرر الجزء الذي تسمح به. تعرف أنه يعطيها من نفسه، وأنها تمنحه متعة تحريرها من الألم. لكنها في الحقيقة لا تمنح شيئا. هو الذي يأخذ منها ذلك. لكنه أيضا لا يستطيع الأخذ إذا لم تسمح له. هي التي تملك القوة وليس هو. هي من تدخله رجلا وتخرجه طفلا.

يطلب منها بنبرة أمرة أن تخلع لباسها وتتخذ وضع السجود. تدعه يتوغل إلى داخل روحها. وتحرر جزءا أكبر من الألم المتراكم. ثم تصرخ بقوة الدفاع عن النفس وقت الخطر عندما

يحاول الاستحواذ عليها، وتدفعه بعيدا عنها. " لن أسلم لك روحي أبدا. أبدا." وتدع دموعها تتساقط بغزارة وحرية.

يتناول مزيدا من الويسكي ثم يبتعد عنها إلى أن تهدأ. تبحث عين عن ورقة وقلم بحقيبتة. تريد أن تسجل ما يحدث لها. تحاول قراءة مشاعرها وانفعالاتها. لكنها لا تعرف من أين تبدأ. من الألم السابق على وجودها أم من السعادة المطلقة التي فقدتها عندما خرجت من بين ذراعي علي. هل يشبه ذلك ألم آدم وحواء عندما طردا من الجنة. هل ورثنا جميعا هذا الألم الحارق للروح، أم تكثف في روحي أنا. ومن هذا الكورسيكي؟ تضع الورقة جانبا. تتناول بضعة رشقات من الويسكي وتتهيا لطلوع القمر.

يطلع على مهل، على استحياء، حاملا وجه علي. لا تصدق ما ترى. هو بعينيهِ وأنفه الملووح وشفتيهِ المزمومتين بقوة. يراقبها بقلق لكن دونما غضب. تتطلع إليه بنظرة بها اتهام غامض، وتكتب:

مثل القمر

لا ينتظر أن ينتظر أحد قدمه

و مثل القمر

لا ينبئ عن ظهوره أو يمهد له.

خلسة، إن لم تكن منتبها، يرتفع رويدا

دونما استعراض أو مقدمات

من خلف الجبال الوردية على الضفة الأخرى للبحر

قرص برتقالي مائل للحمرة

يمهد طريقا برتقاليا مائل للحمرة يقطع العنمة
يغازل أطراف قدمي علي الحافة
و يدعوني دون دعوة للعبور
ألقي بنفسي في الطريق مسحورة
هو يعلو وأنا أسبح
و عند منتصف الطريق يسحب ضوءه
فنتقطع أنفاسي وأتخبط
و مثل القمر هو كوكب معتم
لا ينير إلا بانعكاس الشمس عليه
فيعكس نورها بدوره
لكنه في الأصل معتم
والشمس في العربية مؤنث والقمر مذكر.

تداعب شمس الصباح كل منهما على حدة، فيستيقظان تباعا. يتحلمان في البحر ثم يتناولان الفطور من المعلبات التي أحضرها أبوللو. يبدأ الكورسيكي ثرثرته فتجاهله عين. لم تستيقظ كلية بعد ولا تحب النقاش في الصباح. يشعل أبوللو بعض الحطب الجاف ويعد الشاي.

يأتي بالمرأة ويسندها إلى جذع نخلة. تراقبه عين وهو يفتح حقيبته ويخرج منها كيسا بلاستيكيًا. ينظر الكورسيكي إليها ويسألها إن كانت مستعدة. تنتظر إليه مستهمة، "مستعدة لايه؟" يرد عليها بجدية، "لأن تكتملي." تهزأ منه، "شاي فني ناقصة ايد وللا رجل." يتجاهل سخريتها ويفتح الكيس ويخرج ما بداخله. تشهق عين، "ايه ده؟"

ينزع عنها لباسها ويوقفها أمام المرأة. "أغمضي عينيك." يربط ما أخرجه من الكيس حول وسطها ويثبته جيدا بمشكين. "أنظري لنفسك الآن." تفتح عينيها وتتنظر. تفرع لأول وهلة وهي تبحلق أمام نفسها. ثم تضحك. وتهز العضو البلاستيكي المنتصب بين رجليها. ثم يعجبها شكلها، وتذلك العضو الذكري الضخم الملتصق بعضوها الأنثوي. "أنت الآن أجدستيس." تلتفت إليه وهي لا تزال ممسكة بعضوها المنتصب وتسأله "أجدستيس مين؟" فيخبرها عن بنت زيوس إله السماء والأم الأرض التي

ولدت مكتملة بأعضاء الذكورة والأنوثة، وكيف ارتعبت الآلهة من قوة أجديس تيس المضاعفة، فأخصوها. تصدر عن عين تتهيدة عالية وهي تشعر بنقمة على تلك الآلهة الحمقاء التي حرمتها من عضوها الآخر. تقفز أمام المرأة وتتنظر إلى حركة عضوها المتقافزة أمامها، وتعلو ضحكتها. يقف الكورسيكي بجانبها ويدلك الاثنان عضويهما أمام المرأة وهما يتضاحكان.

"الآن دورك." تستطلع إليه باستفهام متبلد. يتخذ وضع السجود ويطلب منها أن تدخل مؤخرته. تفرع عين. "هيا سأرشدك." تهز رأسها بحيرة، ولا تعرف بماذا ترد عليه. يستدير إليها، "ماذا بك؟ أليس لك عضو الآن؟ استخدميه."

"أبوللو، هل أنت...؟"

"لا، لكن ليس لدي سوى هذه الفتحة. لست امرأة. وأنت لست رجلاً هيا."

يعود إلى وضعية السجود ويرشدها إلى كيفية إدخال عضوها البلاستيكي بحيث لا تجرحه. تبلع عين ريقها بصعوبة وهي تنظر إلى ما تفعل. ثم شيئاً فشيئاً تتواءم مع دورها الجديد، وتستمتع إلى تأوهات أبوللو. وترى نفسها. ترى خضوعها في هذا الوضع.

تزداد تأوهات مع ازدياد ضغطها. تستطيع أن تشعر بمتعته أيضاً. وشيء آخر. إنها تمارس قوتها عليه، تتحكم بلذته. تخرج عضوها فجأة ثم تطعنه مرة واحدة فيصرخ من اللذة. تفعل ذلك عدة مرات إلى أن يصرخ فيها أن تتوقف، ويخرجها من داخله.

"لا تقلي ذلك بمنطق الرجال. كوني مثلما أنت. امرأة."

تحاول مرة أخرى. تدخله برفق، تضغط بهدوء وهي تتوغل بداخله، وتتحسس بعضوها جدار مؤخرته. ثم تضغط برفق وتفسح لبعضوها ممرا بداخله. تشعر كأنها دخلت نفقا، وتشعر بأنفاس أبوللو وهو يحاول كتمها. تضغط عضوها داخل الممر إلى أن يصرخ. صرخة مختلفة. صرخة تشبه صرختها. "كفى. كفى. أرجوكي." تتوقف. ينقلب على ظهره منها. ينظر إليها بعينين دامعتين. ترى ما رآه فجر أن لامس ألمها.

"لم تصل امرأة قبلك إلى ما وصلت إليه."

عين أيضا منهكة. كأنها تقمصت روحا أخرى من حياة سابقة. تخلع عضوها. تغسله بماء البحر وتعيده إلى الكيس البلاستيك.

"تزوجيني. سنصنع عالما أفضل."

"سننجب وحشا سيدمر العالم. ألا ترى أننا متشابهان. ألم

ترى الشيطان الذي يسكننا."

"نحن الآلهة الجدد. صدقيني."

"أريد أن أعود إلى المخيم." وتذهب إلى القارب.

يعودان إلى المخيم. يدعوها إلى الغداء. ترفض.

"أريد أن أكون بمفردي. لقد استهلكت طاقتي، ابتعد عني

الآن."

لا يعجبه كلامها، ويهددها إن كررته سيختفي إلى الأبد.

"انت حر."

تدخل إلى خيمتها. مشوشة، ومتعبة، وواجمة. تترمي على فراشها الأرضي. تثبت عينيها على نقطة ما إلى أن تغفو وعيناها مفتوحتان.

تفريق قَبْل الغروب. تعد فنجانا من القهوة. صار لها فترة تبحث عن عينين أشبه بالخطين، ولا تجدهما. تغسل الفنجان وتعد قهوة أخرى. سكر زيادة، مضبوطة، عالريحة، سادة. تقلب الفنجان بطريقة مختلفة. وتبحث عن رائحته، إلى أن تلتقطه من بين وجوه كثيرة مألوفة وغير مألوفة. تطمئن روحها. وتقرأ كلمات عُذ، وعيد، وعهد. لكنها تحلم به في ذات الليلة يتزوج من امرأة لم تتبين ملامحها جيدا. تستيقظ فجرا. وتتذكر الحلم. كان حفل عائلي بسيط. وعلي كان يبدو هادئا كعادته ومبتسما. لم تشعر عين بالغضب أو حتى بالدهشة. قالت بطريقة واقعية، وكأنها تتحدث عن شخص آخر، " سيتزوج علي."

و دون أن تفكر، تطلب رقمه. يرد عليها مرحبا.

" انت لسة صاحي لغاية دلوقت؟" تسأله باستغراب وبود، وكأنما لم ينقطع عن الحديث منذ شهرين.

" سأسافر بعد عدة ساعات."

تنتبه عين أن هذا وقت عطلته الصيفية.

" علي ، انت هتجوز."

يضحك علي وهو يسألها كيف عرفت. " حلمت بفركك. "
بصمت علي. تكاد تقرأ الاندهاش على وجهه.
" من هي؟ "

" سأخبرك فيما بعد، عندما يتم الزواج. "
" أنا عارفة هي مين. "

" مين.... " يسأل بنوع من الدلال، وعدم التصديق لما يمكن
أن تعرفه.

" لا أعرف اسمها، لكنها تلك الضفدعة التي كانت تحاول
الرقص عند عائشة. "

يضحك عاليا وهو يردد كلمة ضفدعة، لكنه لا يؤكد ولا
ينفي.

" إيه أخبارك انت يا عين؟ " يسأل باهتمام حقيقي.

فتحكي له كل شيء دفعة واحدة. تسمع الفزع في صمته.
" علي... "

" ماذا تفعلين بنفسك يا عين؟ " يصلها صوته مخنوقا من
الانفعال.

" ما انت يا علي اللي.... "

" انت اللي مشيت يا عين. "

" كان قلبي حاسس إن في حاجة بتحصل من ورايا، وآهه
انت هتجوز. " ترد بانفعال.

" عين، أتركي هذا المكان فورا وارجعي الى القاهرة. "

" أنا خيفة يا علي، بس مش قادرة أرجع. أنا منجذبة له. "

" هذا الرجل خطر وقد يؤذيك حتى ولو لم يقصد."
تصمت. وينتظرها علي الى أن تقول شيئاً.
" علي، كتبت عنك قصيدة. ممكن أقرأها لك؟"
" أقرئي."

تقرأ له ما كتبتّه وهي تنتظر طلوع القمر.
" جميلة."
" علي..."

" نعم... " يرد عليها وقد رقّ صوته وصار عذبا مثلما كان
سابقاً.

تتطرق بالكلمة التي أرادت أن تقولها منذ بداية المكالمة.
" انت وحشتني أوي."

" وانت كمان يا عين وحشتيني."

" كنت هتسافر من غير ما تسلم علي؟" تعاتبه برقة.

" كنت عارف انك هتتصلي."

" طيب، حاول تنام شوية، وكلمني لما ترجع."

" عين خذي بالك من نفسك، وبلاش الرجل ده."

" هاخذ بالي من نفسي. حاضر."

" أفل الخط بقي."

" أفضلي انت الأول."

" طيب، هعد 1 2 3 وننقل مع بعض."

تعد 1 2 3 وتنصت.

يكاد الاثنان يقولان في الوقت نفسه، " ما قفلتس ليه؟"

يضحكان معاً، وتُشعر عين بسعادة غامرة. سعادة تشبه تلك
التي فقدتها من زمن لم تعد تحسبه بالسنوات العادية.
" طيب أنا هقفل. أشوفك بخير. " وأغلق الخط.
قبّلت عين الهاتف. كم كانت تفتقد دفء صوته. هدوءه.
عذوبته. هذا الكورسيكي المجنون أنهكها. عادت إلى فراشها
فرحة. سعيدة لأنها استعادت صديقها الذي تحكي له كل شيء.
سعيدة لأنها شعرت بحب علي لها وخوفه عليها.

تستيقظ ظهرا وهي غير متأكدة إن كان حديثها مع علي تم في الحلم أم في الواقع. تراجع قائمة اتصالاتها على الهاتف. لقد اتصلت به فجرا. حدث إذن. يرن الهاتف وترد بصوت من لم يفق بعد من الحلم، ودون أن تنظر إلى رقم المتصل. عائشة تخبرها بأنها أوصلت علي إلى المطار وأنه سيتزوج. "أعرف." ترد عين بهدوء. وتضيف بأنها اتصلت به قبل ساعات. تسألها عائشة أن كان أخبرها عن العروس. "تهرب من الإجابة، وقال أنه سيخبرني عندما يتم الأمر، لكنني أعرف من هي." "من؟" تسأل عائشة بفضول عارم. تذكرها عين بالحفلة التي أقامتها ثم تصف لها امرأة بعينها. "سلمى!!" تنطق باندهاش ثم تضيف، "إنها صديقة خطيبة علي السابقة. مش ممكن." "سيتزوجها يا عائشة وسترين." تقول عين بجزم قاطع. "أنا اعتقدت أنه سيتزوج كريمة، المرأة الأخرى التي أتت مع سلمى." "لقد تابعت الاثنتين. كريمة تريد أن تتسلى مع علي، تقضي معه ليلة أو ليلتين. أما سلمى هذه فكانت تتصرف كامرأة تصيد زوجا." ترد عين وهي تسترجع بعض تفاصيل تلك الحفلة. تشعر بالغضب المؤجل يتكاثر بداخلها. تنهي المكالمة. وتذهب إلى البحر.

تسبح. تسترجع حديثها مع علي فتفرح. تتذكر المرأة التي سيتزوجها فتغضب. وبين الفرح والغضب تستدير إلى الشاطئ بحثاً عن الكورسيكي. لا تجده.

لم الغضب؟ تسأل نفسها. هل لأنها لا تزال تحبه، أم لأنه سيتزوج. لأنه كان يرتب لزواجه أثناء علاقتهما. للمرة الثانية. تسترجع ابتعاده في الشهور الأخيرة، صمته إذا تقابلا، وتصميمه على النوم بمفرده. والحفلة، والإشارات المبهمة. تبكي رغماً عنها وتلعنه في سرها. وتكرهه لأنه سيتزوج ممن هي نقيضها في كل شيء. ربما لو كانت أفضل منها أو حتى مثلها لما غضبت كل هذا الغضب. لكنه اختار من هي أقل منها في كل شيء. تَتَمَنَّى له السوء. وتقرر أن تنتقم منه. ستؤذيه مثلما آذاها. ستهديه عضواً ذكرياً ضخماً من البلاستيك، وستنصحه أن يستخدمه مع زوجته. تعرف كيف سيشرع علي حينها. تعرف كم هو رجل شرقي وتقليدي. تعرف حجم الإساءة. ربما ستكون تلك آخر مرة يتقابلان فيها. ليكن. لم يعد هناك ما يستوجب الندم.

يرن الهاتف. تنتظر إلى الرقم. لا تعرفه. ترد، فيأتيها صوت آخر شخص يمكن أن تفكر فيه، ولا تصدق أذنيها، وتصيح بمرح، " جووورج!!" لقد نسيت تماما هذا الشخص، وكل رحلة الصحراء الكبرى. تدعوه على الفور إلى قضاء بضعة أيام معها في دهب. يوافق، ويسألها عن مواعيد الباصات. هناك موعد منتصف الليل، وهو أفضل موعد لأنه مباشر إلى دهب. " إلى اللقاء إذن صباحا." " سأنتظر عند المحطة." تعلق عين الخط وهي تهز رأسها تعجبا. تسترجع الأوقات التي أمضتها مع جورج وتبتسم. للقدر تصاريفه. جاء في الوقت المناسب.

تفاجأ صباح اليوم التالي بأبوللو أمام خيمتها. يسألها إلى أين هي ذاهبة، فتخبره أنها ستمضي بضعة أيام مع صديق قديم. يدعي الغيرة، ويقول بطريقته الاستعراضية، " كيف تخرجين مع شخص آخر، أنا لا أحب أن أرى فتاتي مع رجل غيري."

" اطمئن، سنذهب إلى مخيم آخر." ثم تضيف باستنكار، وكأنها انتبهت فجأة إلى شيء قاله، " من الذي قال إنني فتاتك.. " " أنا... أأسترجع رجلك، وأنت فتاتي." يرد بطريقة هزلية، ويركع عند ركبتيها، " ألم أطلب منك الزواج؟" تتجاهل عين تمثيله، وتقول له بحدة، " لسنا في علاقة يا أبوللو. افهم ذلك جيدا." ثم تتجه إلى محطة الأتوبيس.

تستقبل عين جورج بود حقيقي. يذهبان إلى مخيم بدوي في الطرف الآخر من دهب. يستعيدان بعضا من ذكريات رحلة الصحراء. تسأله عن مايكل. يخبرها أنه أجرى جراحة في ساقه، لكن لديه عرج خفيف. يمضيان النهار في البحر. ثم تتعمد عين أن يذهبا إلى أماكن يرتادها أبوللو. وأخيرا تلمحه في المرقص. تجذب ذراع جورج وتدخل حلقة الرقص. تتصنع أنها لم تره، لكنها تلمح غيرة حقيقية في عينيه. تنتظر أن يأتي إليها ويقول أي كلام، لكنه يغادر المكان.

مع ظهور جورج المفاجئ، تستعيد عين بعضا من إترانها النفسي. إذ ليس هناك انفعالات حادة، أو تجارب جنسية متفردة. مع التعدد، تركز عين على ذاتها فقط. لا تفكر في أي رجل من الثلاثة. ترتد بشكل ما إلى طفولتها. تلعب بالرمال، تحفر أنفاقا، وتبني قلاعاً. تحزن عندما يذيب موج البحر قلاعها، ويغرق أنفاقها، ثم تضحك وتبدأ من جديد. لكن عندما مارست الجنس مع جورج، اكتشفت أنها فقدت شيئاً. فقدت إحساسها القديم بالمتعة. وفزعت من رغبتها في متعة الجذب والشد في منطقة ألمها.

بعد ثلاثة أيام، يودع جورج عين ويتركها لاكتشافها المفزع. تعود عين إلى مخيمها، تحزم حقيباتها وتقرر العودة إلى القاهرة. تتصل عائشة، وتخبرها أنها حقا سلمى التي تزوجها علي. " يتهنى

بها." ترد عين بلا اكتراث. تلغي السفر. وتذهب إلى البار. تشرب إلى درجة السكر. وعندما ترى الكورسيكي، تذهب إليه، وتقول كلمة واحدة وهي تنتحب، " موافقة."

يحملها بعيدا. ودون أن ينزع عنها ملابسها يدخلها. يدعها تتركه بداخلها إلى أن تتخفف من بعض الألم، ثم ينسحب. يعودان إلى المخيم. ينام أبولو على الشاطئ، وتدخل عين خيمتها وتنام نوما عميقا حتى الصباح.

تفريق على مأمأة ماعز. تخرج من خيمتها وتجد أبوولو بانظارها في سيارة ربع نقل تحمل سبع عزرات. يحثها أبوولو على الإسراع. تتطلع إليه بعينين ناعستين، " هيا سنسافر إلى القاهرة، وأطلبك من جدتك." تتسع عيناها دهشة، وتفتح فمها لتقول شيئا. تتذكر فجأة أنها قالت له موافقة. لكنها لم تعتقد أنه سيأخذ الموضوع جد. تنظر إلى الماعز المربوطة خلف كابينة السيارة. وتساءله عنها. فيجيب بحماس أنه سأل عن عادات المصريين الخاصة بالزواج وعرف أنه يجب أن يقدم شبكة ومهرا للعروس. لا تزال عين لا تفهم سبب وجود الماعز. وتساءله وهي تهز رأسها تعجبا، " وأين الشبكة والمهر؟" فيشير إلى الماعز. " هتجوزني ب 7 معزات يا أبوولو... انت اتجننت؟" وتضحك. فيشرح لها أبوولو أن هذا هو المقدم والباقي على أقساط، مرتين في السنة وفقا لدورة الحمل والإنجاب الخاصة بالماعز. تعجبها الفكرة. يسألها أبوولو إن كانت جدتها ستقبل موضوع الزواج. " أنا متأكدة أن جدتي ستقع في غرامك، هي الأخرى بها مس من الجنون." تستحم سريعا وتغير ملابسها، ثم تنظر إلى هيئة أبوولو، وتقول، " لكن مش ممكن تقابل جدتي بهذا الشورت، والشبشب البلاستيك." " عندك حق!!" يخففي بسرعة، ويعود بعد عشر دقائق مرتديا البنطلون

الجينز والقميص والحذاء الذي أتى بها إلى مصر. " لا أرتديها إلا في المناسبات الهامة. " قال وهما ينطلقان إلى القاهرة. في الطريق، يسألها عن اسم جدتها. تحتر عين، فهي في الحقيقة لا تعرفه. الكل ينادي جدتها ب " نينة "، والخطابات التي كانت ترد إليها من روسيا كانت تحمل لقبها بعد الزواج " حرم ربيع الساقى ". " أعتقد أن اسمها نناشا. " تجيب عين بصوت هامس.

بصلا إلى البيت. يحمل أبولو 4 عنزات، وتحمل عين العنزات الثلاث الأخرى وهي تتخيل رد فعل جدتها. تفتح الباب وتنادي " نينة ". تفاجأ الجدة بالماعز ينطلق في الصالة. تنظر إلى نتيجة الحائط، وتقول باستغراب، " هو العيد جه؟ " تتفجر عين في الضحك وهي تحتضن جدتها، " دول مهري يا نينة. " تتنبه الجدة إلى وجود أبولو، " مين ده؟ "

ترد عين وهي لا تزال تضحك، " عريسي. " يتحنح أبولو، وينحني أمام الجدة، ويقبل يدها. تبسم الجدة له، فيتشجع. " مدام نناشا، اسمحي لي.. " تقاطعه الجدة وقد اختفت الابتسامة تماما عن وجهها، وتقول بحدة، " اسمي فيرونيشكا. " يرمق أبولو عين بنظرة غاضبة، فتهز كتفيها، " لم أكن أعرف. "

يبدأ أبولو الاستعراض من جديد. ينحني أمامها، ويقبل يدها، ويقول برصانة، " مدام فيرونيشكا، اسمحي لي أن أطلب يد عين للزواج. " تنظر إليه الجدة في صمت. فيشرح لها نظرية التوالد الخاصة بالماعز، مؤكدا أنه في سنوات قليلة ستصبح لديه ثروة

من الماعز تقدر بنصف مليون جنيه. عين تتابع الحوار العجيب وهي تقمع رغبتها العارمة في الضحك. يصمت أبولو وينتظر رد الجدة التي لا يفصح وجهها عن أي تعبير الآن. تهش الجدة الماعز، وتشير بيدها إلى الباب، "برة". تنفجر عين في الضحك، ويفتح أبولو ذراعيه بطريقة مسرحية، ويتوسل، "نيننة". بإصبعها تشير إلى الباب، "برة". ثم تتوجه إلى عين، "وانت، لو أصررت على الزواج من هذا" وأشارت بإصبعها إلى أبولو، "سأحرمك من الميراث". تردد عين كلمة الميراث وهي غارقة في الضحك، "نينة، انت بتسمي الكراكيب اللي جيتي بها من روسيا ميراث!!" تهشهم الجدة جميعا كذاب حامل للكوليرا، وتغلق الباب. يتهم أبولو عين بأنها السبب في رفض الجدة، فتهز عين كتفها. انتهت المسرحية. "لو لم أخطئ في اسمها من البداية لوافققت. أنا أعرف النساء." يضعان الماعز في السيارة، ويعودان من حيث جاءا.

بعد أيام، يستأجر أبوللو معدات غطس له ولعين من أحد مراكز الغطس التي يتعامل معها. ويطلب من عين أن ترافقه إلى منطقة غطس نائية. تسأله عين عن سبب اختياره لتلك المنطقة البعيدة، فيخبرها بأنه لم يختارها من تلقاء نفسه. لقد نام بالبيت المسكون، وزاره شبح صاحب البيت وطلب منه البحث عن المفتاح في تلك المنطقة. "يا سلام!!! طيب، وإذا لقيت أنا المفتاح؟" تسأله عين بنبرة متحدية. "ستعطيني المفتاح، لن تحرميني من أن يكون البيت لي. أليس كذلك؟" تنتهد عين وهي تقول له، "اممم، ليس أكيدا، لا تعتمد على كرمي."

يجهزان المعدات، يرتديان لباس الغطس، ويدخلان إلى البحر. تحاول عين أن تتجول تحت الماء بعيدا عن أبوللو، لكنه لا يتركها بمفردها. رغم أنه كثيرا ما أخبرها أنها الشخص الوحيد الذي يستطيع أن يثق به، إلا أنه لا يستطيع أن يعتمد على أهوائها عندما يتعلق الموضوع بالمفتاح. يظلان على عمق عشرة أمتار تحت الماء، يبحثان بين الصخور والشعاب المرجانية إلى أن يشير مؤشر أسطوانة الهواء إلى أن الأكسجين على وشك النفاد. فيصعدان تدريجيا وهما منهكان. "مستحيل، لقد أخبرني الشبح أن هذا هو المكان، وعشرة أمتار." يصيح أبوللو غاضبا بمجرد أن يطفو على سطح الماء.

يستريحان قليلا، يغمض أبوللو عينيه وكأنه يسترجع تفاصيل خريطة وهو يشير بأصابعه إلى اتجاهات ما. ثم ينهض ويبدل أسطوانات الهواء الفارغة بأخرى ممتلئة، ويكرران المحاولة. نفس النتيجة. لا شيء.

في المحاولة الثالثة، يلمحان المفتاح محشورا وسط الشعاب المرجانية، تقريبا في نفس الوقت. إلا أن يد أبوللو أسرع من يد عين. يقبض على المفتاح بقوة ويستخرجه من بين الشعاب التي أدمت يده. ثم ينفلت منه. يمسك بذراع عين ويحاول إبعادها، إلا أنها تفلح بيدها الأخرى في الانقضاض على المفتاح الصدى. يظل قابضا على ذراعها إلى أن يصعدا إلى السطح.

" اعطيني المفتاح." يقول بصوت لاهث.

" لا." ترد بتصميم، وهي لاهثة أيضا.

يترك ذراعها. يخلعان لباس الغطس، ويضعان المعدات بالسيارة.

طوال الطريق، يحاول أبوللو أن يقنع عين بالتخلي عن المفتاح، وهي ترفض بعناد غريب. ولا تعرف في الحقيقة لم هي متمسكة به. البيت لا يعينها في شيء، بل هي لا تصدق الموضوع من أساسه، وتتعامل مع حكايات أبوللو باعتبارها هراء. ومع ذلك تتشبث بالمفتاح. " ستندمين يا عين." يحذرهما أبوللو بهدوء مريب.

" لا يوجد ما أنتم عليه، صدقني." ترد دون أن تنظر إليه. يصلان المخيم. تنزل عين من السيارة، وتقول بمرح صبياني، وهي تلوّح بالمفتاح، " أراك لاحقا." يرد أبوللو بصوت لم تنتبه إلى غرابته حينها. " أراك في الجحيم."

تُعلق عين المفتاح في رقبتها وتدليه على صدرها أسفل بلوزتها. وفي اليوم التالي، توقف سيارة أجرة وتطلب من السائق الذهاب إلى البيت. يصيح الرجل بفرح، "البيت المسكون." ويرفض تماما. توقف سيارة أخرى، يوافق السائق على توصيلها إلى أقرب مكان من البيت. وتسير هي المسافة المتبقية.

تفتح زجاجة بيرة، وتضع شريط كاسيت لفرانك سيناترا. "ماي واي". وتحتفل بوجودها الشرعي في البيت المسكون. ثم تلف وتدور حول البيت بحثا عن الفتحة الخاصة بالمفتاح. لكنها لا تجدها. المفتاح أكبر من كل الفتحات الموجودة. بعد كل التعب ده!! تشك أنه ربما ليس المفتاح الذي تحدثت عنه الأشباح. لا يهم الآن. أنا في البيت. تستلقي على الشاطئ وتعرض جسدها لشمس العصرية إلى أن تغرب الشمس مخلفة وراءها ذلك اللون الوردى الغامق الذي يتحول إلى بنفسجي مثير للشجن. تتذكر علي. الكلام معه وجها لوجه. اتساع ضحكته حينما يمازحها بصيانية. زاوية شفتيه التي يرفعها يسارا سخرية من آرائها أحيانا. مداعبة طرف أنفه. الاكتشاف الذي لم يصل إليه أحد قبلها. اندهاشه، وربما اكتشافه لنقطة مداعبة لم يكن يعرفها، وزجر عينيه. ملمس جلده على جلدها. نفسه. رائحته التي كانت تشبه رائحة طفل رضيع. أفتقدك يا علي. أفتقد نفسي.

تدخل البيت وتضيء جميع حجراته بالشموع، وتدير أغنية
فرانك سيناترا من جديد. " ماي واي" تتردد في كل البيت، تتطلق
من النوافذ، غير الموجودة، إلى البحر وترجع إليها، وهي مستقيمة
على منامتها في الحجرة التي قررت سابقا أنها ستكون حجرة
نومها.

تستيقظ فجرا على صوت صراخها. جدتها، أبواها اللذان لا
تتذكر ملامحهما إلا من خلال صورة زفافهما المعلقة على أحد
جدران غرفتها، كل أصدقائها. كلهم مشوهون ومرضى بالجذام
والشلل يشربون خمرا، ويضحكون بصوت بشع وسط ركام
وحرثائق. وأبوللو في عربة أطفال يبتسم لها ابتسامة طفل فقد
براءته.

ترتعث عين رغم الحرارة التي تكاد تشعر بها تحرق جلدھا.
تضع كفيها على وجهها وتبكي.
لقد رأته في الجحيم، كما قال.
تسير عين إلى المخيم وصورة الجحيم لا تفارقها. تجد أبوللو
أمام خيمتها. تخلع المفتاح من عنقها، وتعطيه له دون كلمة.
تدخل خيمتها. تعد حقيبتها. تذهب إلى محطة الأتوبيس. تعود
إلى القاهرة.

ترسل عين رسالة قصيرة إلى علي فور علمها بعودته إلى القاهرة. ورغم غضبها من أنه لم يتصل بها وقد مرَّ أسبوع على وصوله، إلا أنها تعاتبه برقة، " ماكانش العشم." فقط. وكأن علي كان ينتظر هذه الإشارة، يتصل فوراً. وبمجرد أن يسمع صوتها يناديها بلفظة خارجة تعلمها من عين. وستصير تلك الكلمة، منذ تلك المكالمة، تعبيره الوحيد اللفظي عن حبه المطلق لعين. يتضح أن وهما يتقاطعان في الحديث، وكأن كل منهما افتقد الكلام مع الآخر من زمن.

" إيه أخبار الجواز؟" تمازحه عين.

" زفت." يرد علي ضاحكا، وإن كان جوابه يحمل ربة رجل فقد حريته للتو.

" معلش... بكرة تَعُود..". تسمع عين درجة مستترة من الشماتة في صوتها، ويلتقطها علي. " فرحانة في!!!"
" بصراحة، أه...". وتضحك عاليا. تسأله إن كان في المكتب، فيجيب بنعم.

" سأمر عليك."

ترتدي فستانا ورديا فاتحا يبرز لونها البرونزي الذي اكتسبته من شمس سيناء، وتذهب إليه.

تتفحصه كأم أصر ابنها الوحيد على الذهاب إلى جبهة قتال لا تخصه. وألقى بنفسه إلى التهلكة. تبتعد وتقترب. تتحسس كل أجزاء جسده، وكأنما تتأكد من وجوده كاملاً، وأن تلك الضفدعة لم تأكل منه شيئاً. يرتعش من ملمس يديها، ويضحك، " إيه؟" تهز رأسها، وهي تقول، " ازداد الشيب في شعرك... " وتضيف مازحة، " بؤس ختامك يا علي!" يضحك علي وهو ينتزع جسده من بين يديها، " تعقدين أن هذه نهايتي!!" تخرج عين لسانها ونظرة عينيها تقول، " نهايتك معي."

رغم أنه عبر المنطقة الوسطى، ويبدو وكأنه حسم أمره بالزواج من تلك المرأة، فصار هناك. إلا أن صوته وعينه يشيان بأن الحسم غير نهائي، وبأنه لم يعبر الحدود تماماً، وبأنه لا يزال يتأرجح في تلك المنطقة الشائكة بين الهنا والهناك.

تجلس على ساقيه، وتقبله في عينيه. ثم تقفز فجأة وتجلس على الكرسي المقابل. يقرأ علي حيرتها، فيمد ذراعه إليها ويجلسها ثانية على ساقيه.

" وضعتك اتغير يا علي، لم اعد أعرف ما هو المسموح لي، وما هو غير المسموح."

يسألها عن أبوللو. تحكي له التطورات، وتخبره عن صورة الجحيم التي أرسلها إليها في الحلم. " رأيت كل أصدقائي، إلا أنت يا علي. نفدت من الجحيم." ثم تواصل كلامها وكأنها تحدث نفسها، " ربما زواجك من امرأة أخرى أفضل لك."

" هل تشعرين بالغيرة يا عين؟"

تفكر عين قليلا ثم تجيب بلا. يبدي استغرابا. فتسأله بدلع، " هل تغير أنت من أبوللو؟" لا يرد. فتشرح له عين،

" لقد حفرت مكاني داخلك بجهدتي، وبتفاعلك معي، بالفرح والألم. وأنت أيضا حفرت مكانك داخلي، بشخصيتك وبتفاعلي معك، بكل اللحظات والمشاعر المختلفة التي عشناها معا. سلمى لا تستطيع أن تأخذ مكاني، تستطيع أن تحفر مكانها الخاص بداخلك، قدر جهدها وتفاعلها. وأبوللو لا يستطيع أن يأخذ مكانك، لكنه حفر مكانه بداخلي بطريقته هو."

يحتضنها علي بقوة، ويقبلها على جبينها. " يعني مش زعلانة يا عين؟"

تصمت عين لفترة، ويبدو عليها التردد. يستحثها علي، " قولي يا عين، بتفكري في إيه؟"

" هقولك يا علي، لأنني لا أستطيع أن أخفي عنك شيئا."

ثم تعترف.

"في الأول غضبت جدا ليس لأنك تزوجت، لكن لأنك كنت ترتب لذلك من ورائي، ولأنك تزوجت بمن هي نقيضي في كل شيء. شعرت بالإهانة."

ثم تنتظر بعمق في عينيه، وتقول بنبرة تحمل بأسا،
" تعرف كنت عايزة أهديك إيه."

يهز علي رأسه نغيا، وأسفا في ذات الوقت.
" كنت عايزة أهديك عضو ذكري بلاستيك."

يبهت علي، يفتح فمه لبرهة ثم يغلقه ثانية، ويضع يده على فمه. فتواصل عين اعترافها.

"كنت عايزة أذيك يا علي، كنت عايزة أنتقم منك. كنت عايزة أجرحك زي ما جرححتي."

يزفر علي الهواء الذي انحبس في صدره بقوة. وهو ينظر في عينيها ليتأكد مما تعترف بها، لكنه يعرف صدقها دائما.

"كنت عايزة تعملي كدة فعلا؟" يسألها بصوت مخنوق من شدة الانفعال.

تومئ عين رأسها، "لكن قلبي لم يطاوعني. مع الوقت راح الغضب وبقي الحب."

يصمت علي لفترة، وكذلك عين.

"أنا آسف يا عين."

تحتضنه عين بقوة، وتقبل كل وجهه.

"الأم ممكن تغضب من ابنها، ممكن تضربه، تطرده خارج البيت. لكنها لن تتخلي عنه أبدا أو تخذله."

"صحيح."

ترى الامتتان في عينيه.

"طيب مش هنشرب بيرة مع بعض."

"نشرب."

تلقائياً، تذهب عين إلى مكتب علي وتقضي معه النهار. يتركها علي تجلس على ساقيه، وتقبل عينيه كيفما تشاء. لكنه يبعد شفتيه عن شفتي عين في اللحظة التي يشعر أنه سيستسلم لها. تلح عين في أن يذهباً إلى بار قريب من المكتب قبل أن يعود علي إلى بيته وزوجته. تقتص ساعة أخرى منه. ويشربان معا بضع زجاجات من البيرة في وقت قياسي. ثم تضطر في النهاية لإطلاق سراحه. بينما هو يشعر أنه عائد إلى السجن، لكنه لا يُصرّح.

وعندما استعدت عين نفسياً لقبول زوجته في حياتهما أخبرت علي أنها مستعدة أن تحب سلمى وأن تعاملها كأخت لها.

"متأكدة، يا عين."

"سأحاول يا علي."

تطلب منه أن يدعوها إلى العشاء في بيته. يعدها بذلك حين يرى أن الوقت مناسب.

تفاجأ عين بأبوللو يهاتفها. ويقول لها أن تسجل رقمه. تسأله من أين له بالموبايل. "مجهود مضاعف. صدقيني." تستشعر عين أن في الأمر امرأة. ويصدق حدسها، إذ لا يستطيع أبوللو كتمان أمره عنها. "يجب أن تأتي إلى دهب. صار لديك منافسة." ترد عين بدون اكتراث، "أنا آخر من تتنافس عليك يا أبوللو. وأنت تعلم ذلك جيداً." "أعرف، لكن تعالي، سأقيم حفلة بمناسبة عيد

ميلادي. سأتم 33 عاما. هذا هو العمر الذي صُلب فيه المسيح".
سأفكر. تقول ولا تعد بشيء آخر.

تذهب إلى علي وتخبره بمكالمة أبوللو. " انت لسة مع المجرم
ده؟" يسألها علي باستنكار وهو يهز رأسه تعجبا من أمرها. " فيه
حاجة بتشدني له يا علي". تقول عين بصوت هامس وحائر في
نفس الوقت.

" عين، انتي حرة في علاقاتك. لكن انتبهي أرجوكي. ولن
أكرر لك هذا الكلام مرة أخرى. هذا الرجل انتحاري، وقد يؤذيك
دون أن يقصد."

تصدر عن عين تهيدة عالية وتخبر علي، " هذا الرجل لامس
ألمي يا علي. أنا أحتاجه". يهز علي رأسه رافضا ما تقول.
تضيف عين، " أنا أحتاجه كي لا أندفع تجاهك. أحتاجه لأنه
يجعلني الى حد ما متوازنة، أو ربما لأنه يمثل الجانب المجنون
فيّ. لا أعرف. لكني سأختل يا علي إن بقيت على هذا الحال".
يستمع علي إليها صامتا.

" سأذهب إلى ذهب الليلة."

" انتبهي لنفسك". يقول لها وعيناه تتوسلان إليها ألا تذهب.
" عندما أعود. أريد أن أتعشى عندكوا في البيت. عايزة آكل
لحمة." تذكره بمرح.

" لَمَا ترجعي." ينطق بشك.

" سأرجع طبعاً. أنا لا أطيق صحبة أبوللو لأكثر من يومين."
تودعه بقبلة علي عينيه. وتتوجه الى محطة الأتوبيس.

تتصل بأبوللو قبل أن تصعد الى الأتوبيس المتجه الى دهب.
" سأنتظرك بالمحطة. عندي لك مفاجأة. " يقول بحماس. ترد عين
بفتور، " مفاجأتك كترت أوي يا أبوللو. "

تخلط كوكا كولا ببعض من الويسكي الذي أعطاه لها علي
للطريق. تشرب جرعات كبيرة وبسرعة كي تتمكن من النوم.

تصل دهب بعد منتصف الليل، وتجد أبوللو في انتظارها
بداخل سيارة هيونداي سوداء فاخرة. يخرج أبوللو من السيارة
ويفتح ذراعيه بطريقته المعتادة، " حبيبتي!! ما رأيك؟ " ويشير الى
السيارة. " لا تنادينسي بحبيبتي مرة أخرى. فاهم. " ثم تُلَف حول
السيارة وتهز رأسها، " واضح أنها امرأة غنية جدا. " تعلق عين. "
وعجوز جدا. " يقول أبوللو وهو يضحك. " تذكرنى بجدتي. هيا. "

ينطلقان بالسيارة باتجاه البيت المسكون. تتذكر عين صورة
الجحيم، فتقول لأبوللو أنها لا تريد أن تذهب الى ذلك المكان.
يرمقها أبوللو بنظرة عارفة، ويذكرها، " أنت التي أصررت على
عدم إعطائي المفتاح. وقلت هازئة " أراك لاحقا " أين سأراك إذن
إلا في الجحيم! "

يتكثف الفزع داخل عين فتلوذ بالصمت، وتتشبث بحقيبتهما
الصغيرة.

يواصل أبوللو الحديث، وهو يتذكر واقعة قديمة.

" تعلمين، عندما كنت في السجن، رفضت المسؤولة الاجتماعية أن تدعني أخرج مسرحية من تأليفي، وجاءت بمخرج من الخارج. وكانت حاملا. فقلت لها أنها تعيش بحرية خارج السجن، وأنني مسجون في زنزانة حقيرة، وحذرتها إن هي أصرت على حرمانني من إخراج المسرحية، سأسم حليب ثديها ويموت رضيعها."

تلتفت عين إليه برعب، وتسأله ماذا حدث بعد ذلك.

" أصرت على حرمانني من حقي، فسممت حليبها، ومات الرضيع."

" أبوللو، أنا لا أريد أن أذهب الى ذلك البيت." تقول وهي تتذكر تحذير علي لها.

" عين لا تخافي. لن أؤذيك أبدا. أنا أحبك." يقول بنبرة صادقة.

هي تعرف أنه يحبها. لكنها لا تستطيع الوثوق به.

يستدير أبوللو بالسيارة ويقفل عائدا الى منطقة المطاعم والبارات. " هيا نشرب بيرة الى أن تهدئي."

في البيت المسكون، يخبرها أبوللو عن مليسا. سيدة أعمال تمتلك مليارات تقيم الدنيا وتقعدها إذا نقصت عمولتها المليونية دولارا. لكن أبوللو يتمنى لها دائما أن تخسر بضعة دولارات، إذ حينها تدخله مليسا بكل الغضب والكره الموجود في العالم. تكاد تمزق مؤخرته نفقا، لكن متعته تتضاعف قدر خسارتها. لا تعرف عين لم يخبرها بهذه التفاصيل. هل يحكي بشكل عفوي، أم يقصد استئارتها.

" لكنها غبية، تعتقد أنها يمكنها شرائي بأموالها."

تتنظر عين إليه بشك.

" لماذا تنظرين إلي هكذا؟ هل تظنين أنني أسعى إلى

أموالها؟" ثم ضحك عاليا.

" هل تعرفين كم حسابي في البنك، من تجارة المخدرات

سابقا؟"

عين تهز كتفيها، " لم أخرج معك لأنك غني."

يشعل أبوللو سيجارة، ويأخذ أنفاسا سريعة، ثم يطفئها.

" أعرف. ولهذا أحبك، وأثق بك."

يخلع ملابسه، " هيا، أدخلك أم تدخليني؟"، ويخرج العضو

البلاستيك من حقيبته.

" سأدخلك أنا." وتأمره باتخاذ وضع السجود.

يناولها العضو البلاستيك. تهز رأسها. " أريد أن أشعر بك من خلال يدي."

تلمع عينا أبوللو، وتتسع دهشة. يتخذ وضع السجود دون مناقشة. تخلع عين ملابسها على مهل. ثم تغسل يديها جيدا بماء معدني. تضرب مؤخرته بكفها عدة ضربات خفيفة، ثم تدخل إصبعها وتخرجه. ينقلب أبوللو على ظهره ويقول لها، " جدتي كانت تفعل ذلك معي عندما كانت تخبئ أكياس المخدرات في مؤخرتي." ثم عاد إلى وضعيته السابقة.

تسأنف عين عملها بتأن نحأت. تدخل إصبعها ثم اثنين ثم ثلاث ثم كل كفها. تفتح أصابعها الخمسة بداخله وتخرجها. يموء أبوللو كالقطط. ثم ينقلب على ظهره ويأخذ نفسا عميقا ويزفره بقوة. ترى نظرة شيطانية في عينيه، وتردد ما بين رغبة عارمة في ترك نفسه لها ورعب من امتلاكها مؤخرته. تضربه عين على مؤخرته بشدة، فيعود إلى وضع السجود. تدخل يدها مرة واحدة، فيصرخ. تجول بداخل مؤخرته وتتحسس أغشيتها، وترى مؤخرتها من الداخل. ثم تتسلل يدها بهدوء إلى ممره، وتعبّر بوابة. يكتم أبوللو أنفاسه. تعبّر من بوابة أخرى أضيق، وتتوغل أعمق إلى أن يصير نصف ذراعها بداخله. ثم تضغط مدخل بوابة أخرى. يصرخ أبوللو فرعا، " توقي." عين تضغط مرة أخرى، وهي تعرف الآن أنها تستطيع انتزاع روحه بيدها. لكنه يدفعها بعيدا عنه. ويبكي.

تتركه عين، وتذهب إلى البحر. تغسل يديها جيدا. ثم تنام على الشاطئ بمفردها. منهكة.

يوقظ أبوللو عين في الصباح، " عين، هيا. يجب أن أعود إلى دهب. مليسا تريدني في أمر هام. " الساعة سبعة الصبح!!" تنهض وتعديل ملابسها. " مع من ستقضي ليلة عيد ميلادك؟" يقول وهو يدير محرك السيارة، " لا أعرف بعد. "

يعودان إلى منطقة المقاهي المطلّة على البحر. يترك أبوللو عين بأحد الكافيتريات على البحر، ويطلب لها فطورا. يمشي، ثم يعود ليخبرها بمكان الحفل، ويضيف أن مليسا ستكون أيضا موجودة، " لكنها تكرهك بشدة. لا تخبريها بأننا ننام مع بعض. " سكت برهة ثم قال، " أو قل لي لها، لا يهمني. أنا رجل حر. "

في الحفل، تبادرها امرأة شقراء بدينة بالحديث بتودد مصطنع. تقدم نفسها بفخر أنها من أغنى نساء العالم. عين تهتمهم، وهي غير مهتمة على الإطلاق بهذا الحديث التافه. تستمر المرأة في التثرثرة عن نفسها إلى أن تذكر اسم أبوللو. هنا يبدو على عين بعض الاهتمام. تخبر عين بود زائد وكأنهما صديقتان حميمتان أنها كتبت خطابا إلى الله تطلب منه أن يرسل لها رجلا بمواصفات أبوللو، وأنها أرسلت الخطاب إلى الله مع موج البحر الذي انشق ساعتها عن أبوللو حاملا الخطاب. تنظر عين إلى المرأة التي تجاوزت الستين، وتقول في عقلها " ما وفق إلا ما جمّع. " وأخرجت من حقيبتها ورقة مكرمشة، وقالت، " ها هو الخطاب إذا كنت لا تصدقيني. " تجيبها عين بالعربية بنبرة

تهكمية، " صديقة يا اختي. صديقة." تصمت المرأة قليلا، ثم تسأل عين عن علاقتها بأبوللو. فتجيب عين بحذر، " نحن أصدقاء." فتسألها مباشرة، " هل تتامين معه؟" تراوغ عين، وتقول، " لا توجد علاقة بيني وبين أبوللو. قلت لك نحن أصدقاء. ألا تفهمين الإنجليزية!" ثم تنهض من جانب تلك العجوز المتصابية لتحدث آخرين.

تراقب أبوللو وقد بدت عليه آثار السكر، وبدأ يهذي بكلام غير مترابط، لكنه كاشف. وفجأة يطيح في الآخرين ويبدأ في السب وضرب من يعترضه بما في ذلك مليسا. لا تعرف عين هل تتدخل أم لا. لكنها تخطئ. تصفع أبوللو على وجهه، فيرد لها الصفعة بأقوى منها، تترنج عين على إثرها. لكنها قبل أن تسقط تشد أبوللو من شعره، ويسقطان معا على الأرض ويترافسان. يتدخل شرطي لفض الشجار. تنهض عين من على الأرض وترتب ملابسها، وهي تنظر شزرا إلى أبوللو. يسألها الشرطي إن كانت ترغب في تحرير محضر لأبوللو. تتمالك عين نفسها، وتجيبه، " لأ. دي خناقة عائلية." يبدي الشرطي استغرابه وهو ينظر إلى عين بملامحها المصرية الواضحة، وإلى أبوللو الذي وقف يبرطم بلغته، ويسألها، " كيف يعني؟" تتبين عين من لهجته أنه صعيدي، فتقول له أنهما أخوة. فيعيد الشرطي السؤال وقد زاد استغرابه. فترد عين بصوت مرتفع وقد زاد حنقها، " من أب وأم مختلفين يا أخي. غريبة دي." وتغادر الحفل إلى محطة الأتوبيس، وهي تسب وتلعن هذا الكورسيكي، وتقسم ألا تراه ثانية.

يدعوها علي أخيرا للعشاء ببيته الجديد. تسأله عين لم غير مكان سكنه. " لم يعجب المدام." يرد بنبرة محايدة. تشعر عين أن هذا أفضل، إذ لم تكن تعرف كيف ستتصرف في البيت الذي شهد كل ركن فيه حباها وغضبها وألمها. ربما هذا ما لم يعجب " المدام " أيضا. فهي تعرف جيدا عن علاقة عين وعلي. وقد شاهدتهما معا في تلك الليلة الحزينة، ليلة أن رقصت عين لنفسها. ليلة أن باحت بكل ما في قلبها. ومشت.

تشتري عين ورودا حمراء لسلمى، وتذهب إلى العشاء برفقة عائشة. يفتح علي الباب بينطلون بيجامة قديم تعرفه عين جيدا، فكثيرا ما لبسته في أيام البرد. تمازحه وهي تنظر إلى هينته، " اتجوزت بهدومك القديمة يا علي!" يضحك علي ويقول، " وماله، مش عندكوا مثل بيقول من فات قديمه تاه." تبتسم عين، ولا تعلق. ثم تأتي سلمى. تتدهش عين لرؤيتها لكنها تتحكم في تعبيرات وجهها. ترحب سلمى بعين. يتعانقان بود. ويجلسان على مقاعد منفصلة. هل هذه هي المرأة التي رأتها عين من قبل. لا تصدق. هل هذه هي المرأة التي كانت مسلحة بكل أسلحة الأنوثة! التي تجلس قبالتها الآن امرأة أخرى. امرأة هادئة بلا مساحيق، ترتدي ملابس عادية تفصح عن زيادة وزنها، ولا تتم عن أي ذوق خاص. امرأة مستريحة. امرأة حصلت على ما تريد.

تقرر عين أن تتأمل هذا التغيير فيما بعد. أما الآن فيجب أن تشارك في الجلسة حتى لا يثير صمتها الشكوك. تتوجه بالحديث إلى علي. تحكي بضع حكايات عن أبوللو وهي تنتظر إلى سلمى. تريد أن تطمئن أنها لديها رجلا آخر. لكنها تعرف أن كل جزء فيها يشع بحب علي. ثم تغير الحديث إلى أمور عامة كي تشارك سلمى في الحديث، لكنها لا تشارك، ولا تبدي أي اهتمام بالأمور السياسية أو الاجتماعية التي طالما كانت محور أحاديث عين وعلي. بماذا تهتم هذه المرأة التي جلست تقلم أظافرها بعناية. بعد العشاء، يذهبون جميعا إلى بيت عائشة حيث الاحتفال بزواج علي وسلمى.

تجلس سلمى بعيدا عن علي لأنها لا تحب الدخان، فتجلس عين بجانبه، وتشاركه الدخان والويسكي. ويتحدثان في أمور مختلفة. وعندما يصل النقاش المتبادل إلى نقطة خلاف، تضحك عين وتسال علي، " انت بنتكلم مع سلمى في إيه؟" يضحك علي وهو يرد عليها، " إحنا ما بنتكلمش خالص." تنظر عين إلى سلمى وهي تحاول أن تقرأها. تهز رأسها وهي تقول لعلي، " دي ميته يا علي." ينفجر علي في الضحك ويرفض التعليق. تعلقو موسيقى الراي، ويبدأ الرقص.

تجذب سلمى علي برفق ليرقص معها. تنتبه عين إلى أن حركاتها صارت أكثر ليونة. تظل مكانها وتتأمل الاثنين معا. تحاول عين أن تجد أي نقاط مشتركة بينهما. لا تجد. تنظر إليهما مجددا. سلمى تبدو سعيدة، لكن علي... لا تعرف بالضبط، لكنه

خاتمة

الكتابة لا ترحم أبا أو أما أو حبيبا أجدسي الآن منشفة
مع رولان بارت لم أكن أعرف أن الرواية كائن حي له القدرة على
النمو و التطور وفق شروطه هو إلا بعد ما بدأت في الكتابة
بنفسي الكتابة لا تخضع إلا لشروطها و رغباتها حاولت فقط
و قدر جهدي أن أبتعد عن أي سياق سياسي اجتماعي
قد يفسد الإحساس بالحب
و رغم أنه وفقا لبارت . الرواية التي بدأتها بإهداء
للحبيب قد تخفق هذا المحبوب في النهاية
و لا تمجد إلا الذات الكتابة. إلا أنني يجب أن أعترف بفضل علي
لو لم يدخل حياتي هذا الشخص . لو لم أحبه و أحسني إلى هذه الدرجة
لم يكن من الممكن
كتابة هذه الرواية . و لست أعرف على وجه الدقة. هل أهدي
الرواية إلى علي الرجل الذي أحبه
أم علي المتخيل في الرواية
تداخل الشخصيات بدرجة صار من الصعب علي الفصل بينهما
الإهداء لا يهتم في النهاية
أحبك يا علي . و أحب نفسي لأن نفسي خبيك
و أشكرك على الحياة التي منحتها لي في الواقع و في الخيال
و على وردة . التي حلمت بها طفلة . فجاءت رواية
ع الساقبي



ketab2pdf.blogspot.com

ميريت

مدونة كتاب إلى PDF